جامعة المنصورة
كليـة الآداب

الايكولوجيا الاجتماعية:
دراسة في فلسفة البيئة لدى "موراي بوكتشين"

إعـــداد

د. هلال أحمد وجدي عبد الفتاح مُحمد

مُدرس الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة بقسم الفلسفة

كليه الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثانى والسبعون – يناير ٢٠٢٣

الايكولوجيا الاجتماعية:
دراسة في فلسفة البيئة لدى "موراي بوكتشين"

د. هلال أحمد وجدي عبد الفتاح مُحمد

مُدرس الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة بقسم الفلسفة

كليه الآداب – جامعة المنصورة

ملخص البحث

يلقي البحث الحالي الضوء على مفهوم «الإيكولوجيا الاجتماعية» في فلسفة فيلسوف السياسة والبيئة الأمريكي "موراي بوكتشين" Murray Bookchin (١٩٢١-٢٠٠٦م).

يتبنى "موراي بوكتشين" وجهة نظر تستند على نستطيع الحديث عن «الإيكولوجيا» بمعزل عن التأثيرات الاجتماعية السلبية، ولا سيما تأثيرات الرأسمالية، وما تتضمنه الأخيرة من تحويل العالم إلى ميدان دائم التوسع من المصانع والاستهلاك غير الرشيد خلال سعيها للهيمنة على الطبيعة والإنسان معاً عبر تنظيم العالم الطبيعي داخل الإطار نفسه من سلسلة الوجود الهرمية التي تُكبل بها الإنسان قبل الطبيعة.

في سياق متصل، تعتبر «اللا سلطوية» (الأناركية) بما تحمله من أفكار مناهضة للتسلط والهيمنة، ولا سيما في جانبها الاجتماعي بما يعنيه بالإضافة إلى ما سبق من مفهوم «الجماعية» و«التعاون المتبادل»، مدخلا مهماً لفهم أفكار "موراي بوكتشين" حول «الإيكولوجيا الاجتماعية» بما تحمله الأخيرة من الدعوة إلى التغيير الروحي الذي تلتمس خلاله إصلاح الاختلالات البيئية التي ألحقها المجتمع بالعالم الطبيعي عبر النفاذ إلى الأصول البنيوية والذاتية لأفكار من قبيل فكرة الهيمنة على الطبيعة.

Abstract:

The current research sheds light on the concept of "social ecology" in the philosophy of the American philosopher of politics and environment, "Murray Bookchin" (1921-2006). Murray Bookchin adopts the point of view that we cannot talk about "ecology" in isolation from the negative effects of bourgeois capitalism and what it implies in transforming the world into an ever-expanding field of factories as it seeks to dominate nature and man together by organizing the natural world within the framework of the chain of existence. hierarchical. These are the matters that were criticized by Murray Bookchin, who can consider “anarchism” and especially his “social anarchism” with its concept of “collectivism” and “mutual cooperation” as an introduction to understanding his ideas about “social ecology” with what the latter implies. From a spiritual change in which she seeks to repair the environmental imbalances that society has inflicted on the natural world by penetrating the structural and subjective origins of ideas such as the idea of "dominance over nature.

المقدمـــة :

يمكن القول بأننا لكي نفهم أسس «الإيكولوجيا الاجتماعية» لدى فيلسوف السياسة والبيئة الأمريكي "موراي بوكتشين" Murray Bookchin (١٩٢١–٢٠٠٦م)، يجب علينا العودة إلى أسسها في «فلسفة اللا سلطوية» (فلسفة الأناركية) التي آمن بها "موراي بوكتشين" واتخذها منطلقاً لجميع أطروحاته الفكرية.

«اللا سلطوية»، والتي، بالمناسبة، تفهم بشكل خاطئ أنها مرادفة للفوضوية، هي في حقيقتها تختلف تمام الاختلاف عن ذلك. فهي تناهض السلطة، والمقصود هنا مرة أخرى ليس الغرق في فوضى اللاسلطة واللادولة، ولكنها تعني التوسع من الديمقراطية المباشرة، والإدارات المشتركة، وما إلى ذلك. فالسلطة كما هو شائع عنها مفسدة، تولد نوعاً من الاستكبار والغطرسة لدى مالكها، وتولد في المقابل، في كثير من الأحيان، نوعاً من الخنوع وقبول الأمر الواقع لدى الخاضع لها. والحل وفق وجه نظر «اللا سلطوية» هو توزيع السلطة، كما كان الحال في دولة المدينة القديمة، وفي اجتماعات الريف والمدينة التقليدية.

أما بالنسبة لـ«الايكولوجيا» (علم البيئة)، فقد ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، في إطار التشعب المتصاعد للتخصصات العلمية المختلفة. وقد أشتق "إرنست هكل" Ernest Haekle (١٨٣٤–

١٩١٩م)[*] المصطلح من المرادفة اليونانية Oikos، بمعنى بيت الأسرة، ونقل دلالتها إلى كوكب الأرض باعتباره بيتنا جميعاً نحن البشر. وكان المصطلح يشير إلى هذا الحقل الجديد من البحث في المجال الحيوي الذي يتناول العلاقات التي تربط بين عناصر كوكب الأرض. والآن، تعرف «الإيكولوجيا" بأنها ذلك العلم الذي يقوم بدراسة العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية من جهة، والبيئة التي تعيش فيها من جهة أخرى[١].

وتكتسي «الإيكولوجيا» بعدا «اجتماعياً» لدى "موراي بوكتشين"، ذلك أننا لا نستطيع الحديث عن «الإيكولوجيا» لديه بمعزل عن التأثيرات الاجتماعية السلبية، ولا سيما تأثيرات الرأسمالية، وما تتضمنه الأخيرة من تحويل العالم إلى ميدان دائم التوسع من المصانع والاستهلاك خلال سعيها للهيمنة على الطبيعة والإنسان معاً عبر تنظيم العالم الطبيعي داخل الإطار نفسه من سلسلة الوجود التراتبية التي تكبل بها الإنسان قبل الطبيعة.

وهكذا، فقد أكتشف "موراي بوكتشين" أن موطن الداء في أزماتنا البيئية يعود إلى فكرة «الهيمنة»، والأخيرة بدأت من فكرة هيمنة الإنسان على أخيه الإنسان، ثم امتدت بعد ذلك إلى هيمنته على الطبيعة والبيئة. وهذا ما يجعل الحل الخاص بغالبية مشاكلنا البيئية، في الأساس، اجتماعياً ولا سلطوياً، فكما كانت جذور مشكلاتنا البيئية من الأساس ذات أصول اجتماعية، فإن الحل يكون اجتماعياً أيضاً بالعمل على القضاء على جميع أنماط المؤسسات الهرمية المتداخلة والمتوغلة داخل الجسد الاجتماعي، واستبدالها بمؤسسات جديدة حرة، وغير هرمية، وعقلانية.

من هذه الزاوية، يمكن أن نعتبر «اللا سلطوية»، بما تحمله من أفكار تدور حول نقد ممارسات من قبيل الهيمنة والتسلط والتراتبية المجتمعية، و«اللا سلطوية الاجتماعية»، بما تحمله كذلك من مفهوم «الجماعية» و«التعاون المتبادل»، بحيث يكمل كل منهما الآخر، مدخلاً لفهم أفكار "موراي بوكتشين" حول «الإيكولوجيا الاجتماعية». والأخيرة تتمظهر في النهاية خلال طرحه لفكرته حول «المجتمع الإيكولوجي» بوصف الأخير هو الشكل المثالي للتنظيم الاجتماعي المراعي للوعي البيئي والديمقراطي معاً، بمعنى أنه سوف يكون بمثابة تجسيداً عملياً لأخلاق ومفاهيم «الإيكولوجيا الاجتماعية».

وهكذا، يحاول "موراي بوكتشين" أن يقدم «الإيكولوجيا الاجتماعية» لإصلاح ما خلفته «الإيكولوجيا العميقة» من نظريات روحية تتفادى خلالها النقد العميق لأصول المشاكل البيئية وبخاصة في المجتمع الرأسمالي، وهو ما سوف يتم إلقاء الضوء عليه في البحث الحالي.

---

[*] عالم أحياء وفيلسوف ألماني.

[١] معين شفيق رومية، اخضرار الفلسفة، مقدمة كتاب: الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الأول، تحرير مايكل زيمرمان، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، ٢٠٠٦م، صـ ٧.

بناء على ما سبق، يتناول البحث الحالي، الرؤية الفلسفية لـ«الإيكولوجيا الاجتماعية» لدى "موراي بوكتشين"، خلال ربطه بين أفكاره حول «اللا سلطوية»، و«اللا سلطوية الاجتماعية» ووصولاً إلى نظريته حول «الإيكولوجيا الاجتماعية». ويمكن تحديد تلك الرؤية خلال الإجابة على التساؤل التالي: هل يقدم "موراي بوكتشين"، رؤية جديدة حول الإيكولوجيا خلال طرحه المتمثل في «الإيكولوجيا الاجتماعية»؟، وبالتالي تتحدد أهمية البحث الحالي في كونه محاولة للإجابة عن التساؤلات الفلسفية التالية:

١- ما «اللا سلطوية»؟
٢- ماذا تعني «فلسفة اللا سلطوية»؟
٣- ما الدلالة السياسية لـ«اللا سلطوية»؟
٤- ماذا تعني «اللا سلطوية»؟
٥- ما المقصود بـ«الإيكولوجيا الاجتماعية»؟
٦- ماذا يعني «المجتمع الإيكولوجي»؟
٧- ما الفارق بين «الإيكولوجيا الاجتماعية» و«الإيكولوجيا العميقة»؟

من هذا المُنطلق، وللإجابة على هذه التساؤلات، كان اختيار الباحث للبحث الحالي بعنوان «**الإيكولوجيا الاجتماعية: دراسة في فلسفة البيئة لدى موراي بوكتشين**»، حيث يحتاج الباحثون والدارسون بالفعل إلى بحث مُتخصص في هذا المجال. خصوصاً لندرة الدراسات في المكتبة العربية حول هذه الشخصية، وهذا الموضوع.

مع ملاحظة، أن الباحث قد ركز على مضمون البحث الحالي، للبعد عن التشعب في الطرح وللتركيز على المضامين المتمثلة في البحث.

ونظراً لطبيعة الموضوع وأبعاده المُختلفة، فقد آثر الباحث مُعالجته باستخدام «**المنهج التحليلي**»، مع استخدام «**المنهج النقدي المُقارن**»، بجانب استخدام «**المنهج التاريخي**» لتأصيل فكرة أو أُخرى.

وعليه، ينقسم البحث الحالي إلى: تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع التي أعتمد عليها الباحث:

١- التعريف بـ"موراي بوكتشين".
٢- اللاسلطوية (الأناركية): المفهوم اللغوي والدلالة الفلسفية والسياسية.
٣- اللاسلطوية الاجتماعية (الأناركية الاجتماعية).
٤- الإيكولوجيا الاجتماعية.

ثم خاتمة البحث والمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

١: التعريف بـ"موراي بوكتشين":

١ -١ الحياة الشخصية والعملية:

"موراي بوكتشين"، فيلسوفًا ومنظرًا اِجْتِمَاعِيًّا وكاتباً وخطيباً وفيلسوفاً اشتراكيا لا سلطوياً أمريكياً، له إسهامات في موضوعات عدة، مثل: اللاسلطوية ونظرية التقنية واليوتوبيا السياسية وفلسفة الطبيعة والتمدين. كما أنه يعد واحد من رواد الفكر البيئي. ولد في «برونكس» Bronx بـ«نيويورك» في العام ١٩٢١م، وأنتقل منذ أوائل سبعينيات القرن المنصرم للإقامة في «برلينجتون» Burlington بولاية «فيرمونت» Vermont، وظل مقيماً بها حتى ووفاته في العام ٢٠٠٦م[٢][*].

من المعروف عنه، أنه كان ناشطًا سِيَاسِيًّا منذ سن مبكرة، فقد عمل خطيباً في "زاوية الشارع" حيث محل سكنه، بجانب عمله بوصفه "منظماً عمالياً". وفي العام ١٩٥٤م، نشر مقالاً عن «خطر المواد الكيميائية في الطعام» ويعد هذا المقال بمثابة بداية تقاطع الفكر البيئي والسياسي لديه. وفي العام ١٩٦٤م، حذر "موراي بوكتشين" من احتمالية حدوث تغير في المناخ العالمي إذا لم نحد من انبعاث «غازات الاحتباس الحراري» Greenhouse Gases[*]، ويعد هذا بمثابة بداية استكشافه لـ«الجذور

---

(2) Dan Chodorkoff..el al., Murray Bookchin (1921–2006) An annotated bibliography : to accompany the collected works of Murray Bookchin given to the Vermont State Libraries in honor of the Centennial Celebration (2021) of Bookchin's life, Design & layout by Dana Dwinell-Yardley, the Vermont State Libraries, Vermont, Usa, 2021, P 2. And See Also:

مايكل زيمرمان (محرراً)، المؤلفون في سطور، هامش كتاب: الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الثاني، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٦م، صـ ٣٥٨. وأنظر أيضاً:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D9%83%D8%AA%D8%B4%D9%8A%D9%86

(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

(*) تقع في إقليم "نيو إنجلاند" في شمال "شرق الولايات المتحدة الأمريكية". هي من ناحية المساحة تعد سادس أصغر الولايات الأمريكية، ومن ناحية السكان تعد ثاني أصغر ولاية، إذ يتجاوز عدد سكانها الـ ٦٠٠ ألف بقليل. وهي الولاية الوحيدة في "إقليم نيو إنجلاند" التي لا يوجد لها إطلالة على المحيط الأطلنطي. تتميز بالطبيعة الخصبة حيث تعد الجبال الخضراء والبحيرات من أشهر تضاريس الولاية. استوطنت الولاية في العصور السابقة من قبل اثنتين من أكبر قبائل الهنود الحمر وهما "الأبيناكي" و"الإيروكواس". أنظر في ذلك:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AA

(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

(*) المقصود بـ"الاحترار العالمي": بداية، يؤدي استخدام "الوقود" في تشغيل الآلات إلى زيادة نسبة "ثاني أُكسيد الكربون" Carbon Dioxide (CO2) المُنبعث في "الغلاف الجوي" Atmosphere، وهذه الزيادة تعمل بدورها على زيادة تأثير "غازات الصوبة الزراعية" Accelerated Greenhouse Effect أي إلى زيادة "الاحتباس الحراري" على الكرة الأرضية. بمعنى آخر؛ ودون الدخول في تفاصيل عملية مُعقدة، أنّ انبعاثات كميات مُتزايدة من بعض الغازات وخصوصاً غاز

الاجتماعية" لـ«الأزمة البيئية» Environmental Crisis، وهي الفكرة التي سوف تصبح محور كتاباته فيما بعد(٣).

والملاحظ، أن "موراي بوكتشين" منذ انتقاله إلى «برلينجتون» في العام ١٩٧١م، أصبح متأثرا بما شهده هناك من اهتمام بيئي، بجانب ما لمسه من إبقاء على مفهوم «الديمقراطية المباشرة» Direct Democracy المتجسد في تقليد «اجتماع المدينة»، حيث تطرح قضايا الشأن العام على سكان المدنية مباشرة. ومن ثم فقد أصبح "موراي بوكتشين" منجذبًا إلى البحث في «الأخلاقيات البيئية» وربطها بـ«الديمقراطية». وعمل خلال كتاباته اللاحقة على إيجاد رابط مباشر بين كل من «الاقتصاد» و«التنظيم السياسي» و«التدهور البيئي» Ecological Degradation. وهو ما دعاه إلى طرح الفكرة الرئيسة في فلسفته، وهي أنه من أجل القضاء على المحاولات الكارثية للسيطرة على الطبيعة، يجب علينا القضاء أولاً على جميع أشكال الهيمنة في المجتمع البشري. وقد أطلق على هذه الفكرة اسم «الإيكولوجيا الاجتماعية» Social Ecology(٤)

في العام ١٩٧٤م، أسس "موراي بوكتشين" بصحبه عالم «الأنثروبولوجيا الثقافية» "دان تشودوركوف" Dan Chodorkoff «معهد الإيكولوجيا الاجتماعية» Institute for Social Ecology، حيث كان مقره في البداية في «كلية جودارد» في «بلينفيلد»، بـ«فيرمونت»، ثم أصبح في مركزه الحالي بـ«كايت فارم" بالولاية نفسها، حيث عملا حول تطوير تطبيقات عملية للطاقة الشمسية، وطاقة الرياح (طواحين الهواء)، وتربية الأحياء المائية العضوية. وقاما بإدخال هذه التقنيات إلى ولاية «فيرمونت». فقد فهم "مواري بوكتشين" الإمكانات الكامنة وراء تلك «التقنيات البديلة» Alternative Technologies

---

"ثاني أُكسيد الكربون" بفعل أنشطتنا التقنية المُتعاظمة، تؤدي إلى تكوين ما يُشبه غلاف حول الكُرة الأرضية أشبه بالصوبة الزراعية، مما يعوق ارتداد قدر كاف من الحرارة التي تسقُط على الأرض إلى طبقات الجو مرة أُخرى، وهذا الارتداد هو الآلية التي حافظت على درجات الحرارة للجو نستطيع التكيف معها والعيش فيها مُنذ نهاية العصر الجليدي الأخير، ومن ثم، يتسبب هذا الغُلاف في ارتفاع درجة حرارة الهواء، وبالتالي درجة حرارة سطح الكرة الأرضية بما يزيد تقريباً عن خمس درجات مئوية. من هذه الزاوية، يؤدي "الاحترار العالمي" إلى أضرار بِيئَيةُ جدُّ خطرة، تبدأ بارتفاع درجات الحرارة عن المُعدلات الطبيعية مروراً بتغير نمط سقوط الأمطار الذي تأقلمنا معهُ ورتبنا تدبير موارد غذائنا على أساسه، بجانب مزيد من العواصف والزوابع العاتية، وحتى التسبب في فيضانات الأنهار وذوبان "القمم الجليدية القُطبية" Polar Icecaps. أنظر في ذلك:

Jimmy Carter, Carter Given Nuclear Waste Options, Science News, Vol. 116, No. 3, (Jul. 21, 1979), P. 38.
And See Also:

أُسامة الخولي، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، تقديم مُصطفى طُلبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ – سبتمبر ٢٠٠٢م، صـ ٩٦.

(3) Dan Chodorkoff et al., Op. Cit., P. 2,

(4) Ibid., P. 2,

لمواجهة «الأزمة البيئية المتنامية»، على الرغم من إيمانه بأن الحل الجذري لا يكمن فقط في تلك التقنيات ولكن في ما أسماه «التغيير الاجتماعي الديمقراطي اللامركزي المباشر» [٥].

وهكذا كانت حياة "موراي بوكتشين" تعبيرا عما آمن به من طموحات سياسية وبيئية. ولا يغيبن عن البال آثر إقامته في ولاية «فيرمونت» عليه، كما سوف نرى في البحث الحالي، حيث تأثر بما شهده بها من حرص على الإبقاء اجتماعات المدينة وممارسة الديمقراطية المباشرة بشكل فعلي. كما ظلت أخلاقيات قبائل الهنود الحمر – الذين كثيرا ما بحث في تاريخهم – من حيث التعاون والملكية المشتركة، كثيرة الحضور في كتاباته. ولا نغفل، كذلك، أنها الولاية التي احتضنت أرث "جون ديوي" John Dewey (١٨٥٩–١٩٥٢م)، والذي سوف نتلمس، خلال البحث الحالي، تأثر "موراي بوكتشين" بكثير من آرائه.

١ -٢: المؤلفات:

قدم "موري بوكتشين"، مئات المقالات، وعدد ٢٥ كتابًا، كان لها تأثيراً كبير على نمو الحركات البيئية والاجتماعية في «فيرمونت» وحول العالم، بما في ذلك الحركة «المناهضة للأسلحة النووية»، و«النسوية البيئية» ecofeminism، و«السياسة الخضراء» Green Politics، و«حركة العولمة المتغيرة»، و«حركة "احتلوا وول ستريت»، و«حركة العدالة المناخية» Climate Justice[٦].

وقد تُرجمت أعماله إلى أكثر من ١٥ لغة، وقدمت أفكار ملهمة، ظهر تأثيرها على أرض الواقع، في عديد الحركات السياسية لا سيما المرتبطة بالبيئة في "الولايات المتحدة الأمريكية" وفي جميع أنحاء أوروبا، وبخاصة في "إسبانيا". وكذلك في المنطقة الكردية المعروفة باسم «روج آفا» Rojava، حيث يعيش ٤ ملايين شخص في نظام «كونفدرالي ديمقراطي» Democratic Confederalism مستوحى من أفكار "موراي بوكتشين". وحتى اليوم يعيش إرث "موري بوكتشين" في ولاية «فيرمونت» بل وفي العالم أجمع، وأبرز دليلا على ذلك احتفاء الولاية في العام المنصرم ٢٠٢١م بعامه المئوي[٧].

ونذكر من مؤلفاته[٨]:

١– كتاب: «لا سلطوية ما بعد الندرة» (اقتصاد الوفرة) Post-Scarcity Anarchism، الصادر في العام ١٩٧٢م.

---

(5) Ibid., P. 2. And See Also:

مايكل زيمرمان (محرراً)، المؤلفون في سطور، مرجع سابق، صـ ٣٥٨.

(6) Dan Chodorkoff et al., Op. Cit., P. 2.

(7) Ibid, P. 2.

(8) Ibid, PP. 3-8. And See Also:

مايكل زيمرمان (محرراً)، المؤلفون في سطور، مرجع سابق، صـ ٣٥٨.

٢- كتاب: «نحو مجتمع إيكولوجي» Toward an Ecological Society، الصادر في العام ١٩٨٠م.

٣- كتاب: «إيكولوجيا الحرية: ظهور وانحلال التسلسل الهرمي» Ecology of Freedom: The Emergence and Dissolution of Hierarchy، الصادر في العام ١٩٨٢م.

٤- كتاب: «إعادة تشكيل المجتمع» Remaking Society، الصادر في العام ١٩٩٠م.

٥- كتاب: «فلسفة الايكولوجيا الاجتماعية: مقال عن المذهب الطبيعي الجدلي» The Philosophy of Social Ecology: Essays on Dialectical Naturalism، الصادر في العام ١٩٩٠م أيضا.

٦- كتاب: «البحث عن درب الحركة البيئة؟» Which Way for the Ecology Movement؟، الصادر في العام ١٩٩٣م.

٧- كتاب: «إعادة سحر الإنسانية: الدفاع عن روح البشرية ضد معاداة الإنسانية وكراهية البشر والتصور والبدائية» Re-enchanting Humanity: A Defense of the Human Spirit against Antihumanism, Misanthropy, Mysticism, and Primitivism، الصادر في العام ١٩٩٥م.

٨- كتاب: «اللاسلطوية الاجتماعية أو اللاسلطوية بوصفها أسلوب حياة: فجوة لا يمكن تجاوزها»An Unbridgeable Chasm: Social Anarchism or Lifestyle Anarchism، الصادر في العام ١٩٩٦م.

والملاحظ، بشكل عام، خلال تلك المؤلفات، الاهتمام الواضح بقضايا اليسار وبـ«الفكر اللاسطوي» (الأناركي)، بجانب الاهتمام الكبير بالقضايا البيئية وربطها بالمحيط الاجتماعي ومناهضة العنصرية والعنف والتسلط.

٢: اللا سلطوية (الأناركية): المفهوم اللغوي، والدلالة الفلسفية، والسياسية:

٢ -١: مفهوم اللا سلطوية (الأناريكة) Anarchism:

كلمة «لا سلطوية» هي ترجمة عربية لكلمة Anarchism، والأخيرة مشتقة من الكلمة اليونانية Anarkhia، التي تعني رفض السلطة أو غياب الحاكم[٩]. وهي تعد، بمثابة عقيدة فكرية تهدف إلى تحرير الشعوب من الهيمنة السياسية، والاستغلال الاقتصادي. لذلك كانت دائماً ما ترتبط بنشاط "الطبقة العاملة" Working-Class[١٠]. كما أنها في الوقت ذاته، تعد مجالاً من مجالات "الفلسفة الاجتماعية"

[٩] كولين وارد، اللاسلطوية: مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة مروة عبد االسلام، مراجعة محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٤م، صـ ٩.

[10] Ruth Kinna, Anarchism: a beginner's guide, WS Bookwell, Finland, 2005, P. 3.

Social Philosophy، والتي، بالمناسبة، لم تحظ بالقدر الملائم من الدراسات البحثية، وتم إهمالها. وقد يكون السبب في ذلك – غالبًا – بسبب التحيز، من قبل الجمهور عمومًا، والباحثين على وجه الخصوص. لما لها من أفكار مناهضة للسلطة. بيد أنه، في السنوات الأخيرة، ثمة عودة إلى الاهتمام بـ«اللا سلطوية»، والسبب في ذلك رؤيتها التي يراها البعض منسجمة مع الدعوات الحالية للإصلاح الاجتماعي والتعليمي(١١).

والجدير بالإشارة، أن أول من استعمل مصطلح «اللا سلطوية» هو الفيلسوف الفرنسي "بيير جوزيف برودون" Pierre Joseph Proudhon (١٨٠٩-١٨٦٥م) لوصف فلسفته الاجتماعية والسياسية والتي ترى أن التنظيم من دون سلطة شيء وارد، بل أنه شيء مرغوب فيه. وإن البشرية بمقدورها العيش خلال تنظيمات غير هرمية دون حاكم ودون سلطة. كما رأي أنه مع تطور الأفكار السياسية، يمكننا النظر إلى «اللا سلطوية» بوصفها الشكل النهائي لكلٍ من الاشتراكية والليبرالية(١٢).

مع ملاحظة، أن ثمة لبساً يثيره مصطلح «اللا سلطوية» حيث فهم لدى البعض بوصفه مرادفاً لـ"الفوضى" Aanarchistic، بيد أن الفهم الصحيح للمصطلح هو أنه مرادفاً لوصف الأشخاص ذوي الميول «اللا سلطوية»، لا سيما ضد السلطة والحكومة. مع ملاحظة أن دعاة هذا المذهب الأوائل لم يستخدموا هذا المصطلح قط في كتاباتهم ولكنه تطور تاريخياً(١٣).

ولتوضيح الأمر، ينبغي الإشارة إلى أن «اللا سلطوية»، لا تنكر المؤسسات، فالذي يسبق إلى ذهن المرء من اسمها — خاصة باللغة العربية — أنها تلغى المؤسسات، وتنادي بمجتمع لا أخلاق ولا ناموس فيه. وهذا ليس صحيحاً. لأنها تُنكر «الاستبداد»، و«التسلط»، ولكنها لا تُنكر المؤسسات الناظمة التي تقوم بإدارة الحياة العامة عن طريق التعاون والمشاركة والمشاورة، دون إلغاء المؤسسات اللازمة للتعليم أو رعاية الصحة أو لإدارة المصانع أو توزيع الحاجات وما إلى ذلك. فهي تنادي بمناهضة «المتسلطين»، الذين يعتمدون على القوة دون غيرها في تحقيق مصالحهم وتغليبها على بقية المصالح الاجتماعية الأخرى(١٤).

وهكذا، أن «اللا سلطوية»، بمعناها الحقيقي، تناهض فكرة أن تؤثر السلطة، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم أياً كان نوعها، على سلوك الأفراد. فهي تناهض فكرة تأثير السلطة على من يمتلكها، من جهة، وعلى من تمارس عليهم، من جهة أخرى. ذلك أن السلطة، في أغلب الأحيان، تفسد صاحبها، وتميل إلى جعله غير عادل وتعسفي ومحتقر لغيره؛ كما أنها تجعل كثيراً من أولئك الذين يخضعون لها

(11) John Bucci, Searching for the Meaning of Anarchism, The Journal of Education, Vol. 154, No. 2, IDEAS NEGLECTED IN EDUCATIONAL PHILOSOPHY (December 1971), p. 61.

(١٢) كولين وارد، مرجع سابق، صـ ٩.

(13) John Bucci, Op. Cit., P. 62.

(١٤) عباس محمود العقاد، يوميَّات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٤م، صـ ١٠٥.

يذعنون للخطأ بنوع من الخضوع والمهانة. وبقياس بسيط، إذا كان هذا ينطبق على أي علاقة تمارس فيها سلطة في الوجود، مهما كانت درجة بساطتها، سواء أكانت في العمل أم المنزل أم حتى الشارع، فهي بالأحرى ستكون في المجال الأكبر من حياتنا الصناعية والسياسية والاجتماعية(١٥).

علاوة على ذلك، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن الوضع الحالي للسلطة ينظر إلى المواطنين على أنهم عملاء بحاجة إلى الخدمة. وظيفتهم الوحيدة هي الانتقاء والاختيار من بين أكبر عدد ممكن من الرفوف لمختلف القادة السياسيين والسياسات والبرامج الحكومية. هذا الشكل الفردي للديمقراطية يقوم بخصخصة المواطنين، ولا يترك مجالًا لهم لممارسة سلطتهم الجماعية لصالح النظام السياسي ككل. بدلاً من ذلك، تأتي السلطة من عدد قليل من الفئات التي تشكلت حول مصالح محددة(١٦).

ثمة انتقاد آخر، يرى أفكار «اللا سلطوية»، بما تحمله من رفض للسلطة، سوف يؤدي إلى عدم وجود بنية فوقية مؤسسية للقيام بمهمة الحفاظ على النظام، الأمر الذي سوف يؤدي حتماً، إلى "حرب الكل ضد الكل" على حد تعبير "توماس هوبز" Thomas Hobbes (١٥٨٨-١٦٧٩م). إنه تصور مخيف، بيد أن الواقع يظهر لنا ما هو عكس ذلك، حيث إن كثيراً من الأمور التي اقترنت بالفوضى وانعدام النظام، مثل الكوارث، كثيراً ما كانت تتمخض بالفعل، عن نقيض الفوضى في المجتمع الإنساني، فكانت تتمخض عن الألفة والتعاون والتضامن، بدلاً من العنف والفوضى. وثمة أمثلة كثيرة على ذلك، من واقعنا المعاش، خلال كوارث عمتها الفوضى وتكتف الناس خلالها لمساعدة بعضهم البعض، بدلاً من أن تتحول إلى ساحة للسلب والنهب والاستيلاء على ممتلكات الغير(١٧).

في المقابل، يشير مصطلح «اللا سلطوية» – بين مؤيديه – إلى صورة «المجتمع المثالي» الذي يسعى «اللا سلطوي» (الأناركي) من أجله، ويعتقد أنه المجتمع الأخلاقي المنشود في أكمل صورة. صحيح أن العديد من اللاسلطويون غامضون إلى حد ما حول طبيعة هذا المجتمع وآلياته، إلا أننا قد نفهم السبب في ذلك أنهم أنفسهم لا يبغون التقييد برؤية موحدة لهذا المجتمع(١٨).

في الإطار عينه، يذهب "موراي بوكتشين" إلى الربط بين مفهوم «اللا سلطوية» و«الاستقلالية» حيث تعني الكلمة اليونانية Autonomia «الاستقلال» Independence، وهي كلمة ذات دلالة على

---

(15) Alexander Berkman, What is Anarchism?, AK Press: Edinburgh. London. Oakland, 2003, P. 43.

(١٦) دايفيد ماسيوس، إيكولوجيا الديمقراطية: كيف تكون لنا يدٌ أقوى في رسم مستقبلنا؟، ترجمة مصطفى الجرف، تقديم زياد ماجد، الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية، شرق الكتاب، مؤسسة كترينغ، دايتون، أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٨م، صـ ٥٧.

(١٧) كارن روس، الثورة بلا قيادات: كيف سيبادر الناس العاديون إلى تولي السلطة وتغيير السياسات في القرن الواحد والعشرين، ترجمة فاضل جكتر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٤٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، مارس ٢٠١٧م، صـ صـ ٩١-٩٢.

(18) John F Clark, What Is Anarchism, Source: Nomos, Vol. 19, ANARCHISM (1978), P. 13.

"الذات ذاتية الإدارة"، وعلى حد علمه، لم يتم استخدام هذا المصطلح على نطاق واسع من قبل الفلاسفة اليونانيين؛ بل لم يتم ذكره حتى في المعجم اليوناني، ولكن الملاحظ أن مصطلح «الاستقلالية» Autonomy أعتبر مرادفا لـ«الحرية»، فقد استخدمه "أفلاطون" Plato (٤٢٧ ق.م–٣٤٧ ق.م) في وصف من هو «سيد نفسه». وعليه، تشكل دلالة مصطلح «الاستقلالية» هنا – بما تحويه من معنى لـ«الحرية» – أساس «اللا سلطوي الفردي» Individualist Anarchist(*)، ذلك أن المبدأ الرئيس لـ«اللا سلطوية» يتمثل في «الاستقلالية» أو «السيادة الذاتية» Self-Sovereign(١٩).

على هذا الأساس، يرى "موراي بوكتشين" أن «اللا سلطوية» هي أقدم كفاحاً خاضته البشرية ضد الهيمنة والسلطة. لذا فهي دائما منشغلة بقضايا الواقع، عبر ملامستها لكافة قضايا الحياة اليومية، والتي نراها في، على سبيل المثال: الجنس، والمجتمع، والعمل، وقضايا تحرير المرأة، والعلاقات الإنسانية. لذا، فقد كان تركيزها المركزي دائمًا منصباً على إعادة صنع العالم بحيث يكون البشر دائماً أصحاب حياة: حرة، وموقرة، ورائعة(٢٠).

والجدير بالإشارة، أنه تاريخياً، قد ظهر مفهوم «اللا سلطوية»، بشكل محدد وواضح، في أوروبا خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ثم شاع خلال العقود الأولى من القرن الميلادي المنصرم، وامتد من أوروبا إلى العديد من دول العالم. إلى أن اختفى عمليا بعد العام ١٩٣٩م، عندما سحق الجنرال "فرانثيسكو فرانكو" Francisco Franco (١٨٩٢–١٩٧٥م) الثورة الإسبانية. إلى عاد إلى الحضور في الأوساط الفكرية والسياسية في العام ١٩٦٨م خلال حركات التمرد الطلابية وما حملته من أفكار «لا سلطوية. إلى أن أصبحت جزءاً من الحركات السياسة المعاصرة المقرونة بمناهضة: الرأسمالية -anti

(*) "الفردية" أو "المذهب الفردي" Individualism في المُصطلحات السياسية، هي وجهة النظر التي تعتبر أن الدولة تابعة للفرد، من الناحيتين السياسية والأخلاقية. وطبقاً للفردية السياسية، فالدولة هي التي توجد من أجل الفرد، وليس العكس هو الصحيح. وكانت رؤية "جون لوك" John Locke (١٦٣٢–١٧٠٤م) للفردية السياسية ملهمة لكثير من الثورات: الفرنسية والإنجليزية والأمريكية في عصر التنوير: وتؤكد الفردية السياسية عند "جون لوك" على أن الأفراد من البشر أحرار، وعقلانيون، ومتساوون، ومستقلون، أمام القانون، ويمتلكون بعض الحقوق التي لا يمكن أبداً التنازل عنها؛ وأن الدولة تابعة للفرد، وأنها لم توجد إلا بموافقة متبادلة ومن أجل حماية حقوق الفرد. أنظر في ذلك:
تـ. ز. لافين، من سقراط إلى سارتر: البحث الفلسفي، ترجمة أشرف محمد كيلاني، مراجعة وتقديم سعيد توفيق، المشروع القومي للترجمة، العدد ٢٠٨٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٢م، صـ ٢٩١.

(19) Murray Bookchin, Social Anarchism or Lifestyle Anarchism: An Unbridgeable Chasm, Edinburgh and San Francisco: A.K. Press. Edinburgh, Scotland, 1995, P. 12. And See Also:
Murray Bookchin, The Ecology of Freedom: The Emergnce and Dissoulution of Hierarchy, Cheshire Books, California, U.S.A., 1982. P. 321.

(20) Murray Bookchin, Post-Scarcity Anarchism: Second Edition With a New Introfuction, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1986, P. 21.

capitalist، والعولمة، وتشريح الحيوانات، والعنف، والأسلحة النووية. والرامية في الوقت ذاته إلى تطوير الإعلام البديل، والتعليم الحر، والديمقراطية التشاركية، والعمل التعاوني(٢١).

وهكذا، تقدم «اللا سلطوية» رؤية لمناهضة التأثير السلبي للسلطة في المجتمع الإنساني، فهي لا تهدف إلى القضاء على النظام في المجتمع ومن ثم الغرق في الفوضى وفراغ المؤسسات، وإنما تهدف إلى توزيع السلطة على الجميع فلا ثمة مستأثر بسلطة يفسد خلالها، ولا ثمة خاضعون يكتسبون الخنوع جراء قبولهم بسلطة غيرهم عليهم.

وقد أثبتت عديداً من التجارب أن المجتمعات عند خلوها من السلطة، بسبب أي ظرف، مثل الحروب الأهلية والكوارث الطبيعية، لم تسقط أبداً في الفوضى، بل على العكس عمل الناس من تلقاء أنفسهم على تنظيم أمورهم وأمنهم بشكل ذاتي دقيق.

٢ -٢: فلسفة اللاسلطوية (فلسفة الأناركية) Philosophy of Anarchism:

إن أصل «فلسفة اللا سلطوية» يعود إلى ما يمكن تسميتها بـ«روح اللا سلطوية» Spirit of Anarchism بما تعنيه الأخيرة من رفض لكل سلطة وتحكم وإكراه لأنهم ببساطة أمور «غير طبيعية بالنسبة للإنسان». وهنا لا ينبغي الخلط بين هذا التعريف لـ«روح اللاسلطوية» وبين «العدمية» Nihilism، ذلك أن «العدمي» يتصرف من دون مبدأ أخلاقي ولا قانون طبيعي(٢٢).

وعليه، يمكن القول بأن الاعتقاد بأن الجماعات البشرية باستطاعتها العيش دون الحاجة إلى السلطة شيء متأصل في «الروح اللاسلطوية». وهكذا، تقوم «فلسفة اللاسلطوية» على «الروح اللاسلطوية»، فقد استمرت هذه الروح بين البشر عبر التاريخ بين أولئك الذين يمكن أن يقال إنهم تحلوا بـ«الروح اللاسلطوية» ويُنظر إليهم على أنهم أسلاف «فلاسفة اللاسلطوية»، مع ملاحظة أنهم كانوا مقيدين بالظروف التاريخية التي عاشوا فيها. فلم يصوغوا مذهباً شاملاً أو فلسفة كاملة. والمثال على ذلك: "جان جاك روسو" Jean Jacques Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨م)، خلال حديثه عن الحياة البسيطة والطبيعية، والمساواة، والنظام الديمقراطي والجمهوري، والتعليم السليم الذي يجسد لديه المعرفة بكل من العلوم والتقنية بجانب إتقان مهارة العمل اليدوي؛ علاوة على سعيه إلى إرساء أسس دين طبيعي قد يحل محل المسيحية الكنسية(٢٣). كذلك، الفيلسوف السياسي الإنجليزي "ويليام جودوين" William Godwin (١٧٥٦-١٨٣٦م). الذي قدم في العام ١٧٩٣م كتاب "العدالة السياسية" والذي احتوى عديداً من «مبادئ اللاسلطوية» دون تسليط الضوء بشكل مباشر على هذا المصطلح(٢٤)(*). ومن قبلهما بقرون عدة، كان

(21) Ruth Kinna, Op. Cit., PP. 3-4.

(22) John Bucci, Op. Cit., P. 62.

(23) P. Kropotkin, Modern Science And Anarchism, Freedom Press, London, U.K, 1912, P. 108.

(24) John Bucci, Op. Cit., P. 62.

يؤمن الفيلسوف "زينون الرواقي" Zeno of Citium (٣٣٤ ق.م – ٢٦٢ ق.م)، في القرن الرابع قبل الميلاد، بالمجتمع المتحرر من قيود السلطة، وكان طول الوقت ما يفخر بأن تلاميذه يتعلمون منه أن يصنعوا طوعًا ما يصنعه عموم الرعايا الآخرين مكرهين أو مرغمين(٢٥).

بيد أن إن ظهور «فلسفة اللاسلطوية»، بوصفها فكراً فلسفياً مستقلاً ومعروفاً، تواكب – مثله مثل مصطلح «اللاسلطوية» – مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، بالتوازي مع ظهور الدولة الحديثة للرأسمالية، وصعود السيطرة المركزية وإعطاء أهمية كبرى لفكرة «التسلسل الهرمي» Hierarchy في جميع مجالات النشاط البشري، ومن ثم فقد اكتسبت «فلسفة اللاسلطوية» اهتمامًا واسعًا في أوروبا. حيث كانت دعوة اللاسلطويون إلى اللامركزية والقضاء على السلطة الهرمية التراتبية تحظى بصدى واسع في عديد من التيارات المعارضة. من هنا يمكن القول بأن المبادئ العامة التي شكلت التيار الرئيس لـ«فلسفة اللاسلطوية» والتي يلتزم بها معظم اللاسلطويين هي(٢٦):

١. الإنسان صالح منذ الولادة بإمكانية متأصلة في ذاته. ذلك أن السلطة أياً كان منبعها أو شكلها قد أفسدت الإنسان.
٢. الإنسان "حيوان اجتماعي" Social Animal، ويسعى بطبيعة الحال إلى "التعاون" بدلاً من التنافس والصراع.
٣. السلطة بأي شكل من الأشكال تمنع التنمية البشرية الكاملة.
٤. تؤدي الملكية الخاصة، بوصفها مؤسسة، إلى فساد الناس واستغلالهم من قبل بعضهم البعض.
٥. الدولة كيان غير طبيعي، والسلطة مفسدة. ويجب أن يتم تطوير المجتمع عن طريق "التعاون الطوعي" Voluntary Cooperation بين المواطنين، وليس عن طريق إكراه الحكومة.
٦. المؤسسات الكبيرة المعقدة تؤدي إلى التسلسل الهرمي وتمركز السلطة، في حين أن اللامركزية تسمح بعلاقات إنسانية تعاونية.
٧. يجب أن يكون "التغيير الاجتماعي" Social Change عَفْوِيًّا ومباشرًا، وأن يعكس مشاعر كتلة من الأفراد المستقلين في المجتمع والذين يتصرفون من الداخل وليس من الخارج. بحيث يكون التغيير الاجتماعي متسقًا في الوسائل والغايات.

(*) لفت الانتباه إلى أن جميع الشعوب، تقريبا، عاشت، في فترة ما، في حالة اللاسلطة ولم تكن فترة سلبية من تاريخها على الإطلاق. ذاهباً إلى أن اللاسلطة هي الوسيلة الوحيدة للاستغناء عن إثارة الذعر، والعنف الدموي، وإكراه الحكومات. أنظر في ذلك:

William Godwin, An Enquiry Concerning Political Justice: Its Infulence On General Virtue And Happiness, In Tow Volumes, Vol. I, Printed For G. C. J. And J. Robinson, Parternoster. London, U.K., P. 2,738-740.

(٢٥) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، صـ ١٠٧.

(26) John Bucci, Op. Cit., PP. 62-63.

٨. إن المجتمع الصناعي شرير، تسيطر فيه الآلات على الإنسان. وهذا يؤدي إلى نزع صفة الإنسانية عنه، وتفكك شخصيته؛ وخنق الإبداع لديه.

والجدير بالإشارة، في هذا المجال، أن ثمة من ينظر إلى «الفلسفة الوجودية» باعتبارها امتداداً لـ«فلسفة اللاسلطوية»، وهو قول بحاجة إلى مراجعة، فـ«الفلسفة الوجودية»، وإن كانت موضوعاتها الرئيسة تدور حول الإنسان بوصفه فرداً وذات واعية، إلا أنها بجانب ذلك تدور جل موضوعاتها حول الإحساس بعديمة الوجود الإنساني، وفقدان المعنى، وعبثية الحياة، والاكتئاب والقلق الذي يملأ الحياة الإنسانية[٢٧].

كما أن «الفلسفة الوجودية» لا تتجه نحو الجماعة ولا تسري عليها إلا من زاوية الاتجاه إلى استقلال الفرد على حدة. أما «فلسفة اللاسلطوية» فهي جماعية قبل كل شيء، وتنظر إلى الأفراد خلال تصورها للنظام الذي لا تكون ثمة سلطة للطغاة عليه[٢٨].

وهكذا، فمكن الممكن أن تشترك «الفلسفة الوجودية» مع «فلسفة اللاسلطوية» في أمور جد قليلة مثل: الفردية، والإعلاء من شأن الحرية الإنسانية. بيد أنها تختلف في بقية الموضوعات تمام الاختلاف، ولا تتحرك من المنظور السياسي بوصفه منطلقاً لأطروحاتها الفكرية.

٢ -٣: الدلالة السياسية لمفهوم اللاسلطوية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بين المدلول اللغوي، والفلسفي، لمصطلح «اللاسلطوية» وبين دلالاتها السياسية، حيث تشير «اللاسلطوية»، في دلالتها السياسية، إلى مجتمع لن ينفرد فيه أحد بالسلطة من وجهة نظرها. وفق مبدئها الرامي لتحقيق «السيادة الذاتية» أو «الاستقلالية». وهو طرح تتقاطع فيه "اللاسلطوية" مع "المجتمع الاشتراكي" أو "مجتمع الغد" – على حد تعبير "جوزيف ستالين" Joseph Stalin (١٨٧٨-١٩٥٣م) – حيث لا وجود فيه للطبقات الاجتماعية، وحيثما لا يكن ثمة وجود للفقراء والأغنياء، تغدو السلطة غير مجدية، لأنها دورها الأساس كان قمع المعدمين وحماية الأثرياء. وعليه لن يكون المجتمع الاشتراكي بحاجة للاحتفاظ بتلك السلطة السياسة، لأنها بمنتهى البساطة ظالمة[٢٩].

بناء عليه، كان "اللاسلطويون" عبر تاريخهم منتمين بلا شك إلى "التيار اليساري"، بل ويمكن القول بأن «اللاسلطوية» دائماً ما ارتبطت بالأفكار الاشتراكية والشيوعية، بيد أن اللاسلطويون دائماً ما يضغطون على فكرة أن الفلاحين والعمال — بعد انتهازهم الفرصة التاريخية التي لاحت لهم لإنهاء مئات

---

[٢٧] ت. ز. لافين، مرجع سابق، صـ ٣٧٣.

[٢٨] عباس محمود العقاد، مرجع سابق، صـ صـ ١٠٨-١٠٩.

[٢٩] جوزيف ستالين، اشتراكية أم فوضوية، ترجمة وتقديم جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، طـ ١، ١٩٧٨م، صـ ٦٥.

السنين من القمع والاستغلال — قد تعرَّضوا، وبشكل مؤكد، للخيانة من قبل الطبقة السياسية التي من المفترض أنها منتمية إليهم، حيث أصبحت أولويتها الرئيسة، هي إعادة بناء الدولة المركزية نفسها. وفي أعقاب كل حركة ثورية — والتي غالبًا ما يدفع المواطنون البسطاء ضريبة نجاحها غاليًا — لا يتردد الحكام الجدد في استخدام القوة والرعب وأجهزة الأمن القمعية لفرض سلطتهم وهيمنتهم(٣٠).

في السياق ذاته، وعلى الرغم من توجهاتها اليسارية، السابق ذكرها، ترفض «اللاسلطوية» أي أفكار ذات أبعاد تحكم وسلطوية، أياً كان وبغض النظر عن منبعها. ذلك أن «اللاسلطوية»، في بعدها السياسي، تناهض أي ديكتاتورية، ولا سيما "ديكتاتورية البروليتاريا" نفسها، لأن كل بروليتاريا مهما كانت غرضها نبيل، تقود إلى ثورة الموت، وهو دق لناقوس الخطر من أن تتحول ديكتاتورية البروليتاريا إلى ديكتاتورية على البروليتاريا نفسها(٣١).

وهكذا، تتمايز «اللاسلطوية» عن الشيوعية، ذلك أنه في النظرية الماركسية، يجب أن يتحرر البروليتاري في النهاية من جميع القيود، بما فيها قيود السلطة والحكم. أما في التطبيق فإن الأنظمة الشيوعية كثيراً ما هرعت إلى تشكيل أجهزة بيروقراطية ضخمة، عبر نخب ذات امتيازات، لتلقين الشعب برامج حول مصالحهم العليا. أما من حاول مجرد التفكير للاعتراض، فقد تم قمعه بمنتهى الوحشية. والأمثلة كثيرة، منها قمع الثورة الإسبانية في العام ١٩٣٦م، أو قمع حركة تمرد بلاشفة كرونشتادت في العام ١٩٢١م(*)، حيث أماط الشيوعيون اللثام عن وجههم الحقيقي. وهكذا، لم تستطع الشيوعية، بأي شكل من الأشكال، أن تعني تحرراً من ربق السلطة(٣٢).

---

(٣٠) كولين وارد، مرجع سابق، صـ ٩. وأنظر أيضاً:

P. Kropotkin, Op. Cit., P. 5.

(٣١) جوزيف ستالين، مرجع سابق، صـ صـ ٨–٩،

(*) تمردًا من البحارة والجنود والمدنيين السوفييت في مدينة كرونشتات الساحلية ضد الحكومة البلشفية التابعة لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية. كانت آخر ثورة كبرى ضد النظام البلشفي في الأراضي الروسية أثناء الحرب الأهلية الروسية التي دمرت البلاد. بدأ التمرد في ١ مارس ١٩٢١م في القلعة البحرية للمدينة الواقعة على جزيرة كونلين في خليج فنلندا. ظل المتمردون يتخذون موقفًا سَلْبِيًّا في انتظار أن تتخذ الحكومة الخطوة الأولى في المفاوضات، التي أدت في نهاية المطاف إلى عزل القوات القارية. على النقيض من ذلك، اتخذت السلطات موقفًا متزمتًا، إذ قدمت إنذارًا نِهَائِيًّا يطالب بالاستسلام غير المشروط في الخامس من مارس. بمجرد انتهاء فترة الاستسلام، شن البلاشفة سلسلة من الغارات العسكرية على الجزيرة، ونجحوا في قمع الثورة في السابع عشر من مارس، الأمر الذي أسفر عن مقتل عدة آلاف من المواطنين. أنظر في ذلك:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF_%D9%83%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D8%AA

(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

(٣٢) كارن روس، مرجع سابق صـ ٢٢١.

وهذا ما عبر عنه "موراي بوكتشين"، حينما رأي "أن اللاسلطويون ينظر إليهم على أنهم شيوعيون – سواء أكان ذلك من قبل بعض اللاسلطويون أنفسهم أم من غيرهم على حد سواء – بيد أن، الاختلاف بين الشيوعية و«اللاسلطوية» يتمثل في أن الأخيرة تتمسك بشكل لا هوادة فيه بـ«تقرير المصير الفردي» individual self-determination، و«الاستقلالية». والمعنى، أن تكون لاسلطوياً – سواء أكنت فَرْدِيًّا أم نقابياً أم نسوياً – يعني تأكيد الالتزام بأسبقية «الحرية الفردية» على ما سواها"(٣٣).

في سياق متصل، يذهب "موراي بوكتشين"، إلى "أن «اللاسلطوية» تطمح ليس فقط إلى إنهاء العلاقات الاجتماعية للبرجوازية في المجتمع، ولكن أيضاً إلى القضاء على إرث طويل من الهيمنة، وهو إرث ممتد منذ آلاف السنين عبر المجتمع الهرمي. والهدف هنا، ليس وفق تصور الشيوعية، أي ليس القضاء على هذا المجتمع وتأسيس المجتمع الشيوعي، ولكن الهدف الرئيس هو تحقيق «المدينة الفاضلة غير القمعية» nonrepressive utopia، أي مدينة التحرر من علاقات الهيمنة والسيطرة والعلاقات الهرمية، والتي تعد بمثابة الحلم الأقصى لـ«اللاسلطوية»"(٣٤).

أضف إلى ذلك، أن اللاسلطويون لا يدعون إلى "الثورة الاجتماعية" Social Revolution، كما هو الحال في الفكر الشيوعي، بل يعتقدون أن المجتمع الحالي سوف يتطور تدريجياً بمعزل عن السلطة من أجل الوصول حالة اللاسلطة. كما تؤمن «اللاسلطوية» بـ"الملكية الفردية" Individual Ownership، مقابل الشيوعيين الذين يرون في مؤسسات الملكية الخاصة والفردية أحد المصادر الرئيسة للظلم وعدم المساواة(٣٥).

من هذه الزاوية، تتقاطع الدلالة السياسية لـ"اللاسلطوية" بما تحمله من تحرر للأفراد من قيود السلطة، مع تمكينهم من التمتع بحريتهم. فالحرية هي الشرط الرئيس لكي يتمكن الأفراد من تقرير شؤونهم الخاصة، واستكشاف قدراتهم الإبداعية، وتنمية مواهبهم الخاصة. بجانب أهميتها القصوى في كشف الفساد. وعبر عن ذلك "ليو تولستوي" Leo Tolstoy (١٨٢٨–١٩١٠م) عندما ربط بين نقده للسلطة بوصفها شكلاً من أشكال الفساد الأخلاقي، وفكرته عن "الحرية" التي نظر إلها بوصفها مرادفاً لـ"استقلالية"، معتبراً إن الحرية الحقيقية الوحيدة "تتمثل في مقدرة كل فرد على أن يعيش ويتصرف وفقًا لحكمه الخاص"(٣٦).

وهكذا، على الرغم من ميولها اليسارية، لم تنتم يوما اللاسلطوية إلى التيار الشيوعي، فالأحداث التاريخية أكدت أن من وصل إلى السلطة غالباً ما كرر الأفعال نفسها التي أنتقدها في سلفه. وهكذا كانت

(33) Murray Bookchin, Social Anarchism or Lifestyle Anarchism: An Unbridgeable Chasm, Op. Cit, P. 13.

(34) Murray Bookchin, Post-Scarcity Anarchism: Second Edition With a New Introfuction, Op. Cit., P. 16.

(35) Alexander Berkman, Op. Cit., P. 169.

(36) Ruth Kinna, Op. Cit., P. 76.

الأنظمة الشيوعية عندما تمكنت من الحكم إعادة إنتاج وترسيخ أجهزة الدولة المركزية والأنظمة الأمنية ذاتها مرة أخرى، وقمعت بمنتهى القوة أي محاولة لمجرد التفكير في المعارضة، و"ربيع براج" في العام ١٩٦٨م كان مثالاً على ذلك ضمن أمثلة أخرى عديدة.

٣: اللا سلطوية الاجتماعية (الأناركية الاجتماعية) Social Anarchism:

يذهب "موراي بوكتشين" إلى الربط بين «اللا سلطوية» ودلالتها الاجتماعية عبر مصطلح «اللا سلطوية الاجتماعية» (الأناركية الاجتماعية)، ذلك أنه على الرغم من سابق حديثه عن امتلاك الأفراد لدوافع ذاتية، وإرادة الحرة، إلا أن ذلك لا يعني رفض «اللا سلطوية» لـ«الجماعية» Collectivism، ذلك أن الشعور بالمسئولية يولد، وبشكل تلقائي، «نشاطاً اجتماعيا» Social Action[٣٧].

بداية، يربط "موراي بوكتشين" بين «الجماعية» و«الديمقراطية المباشرة»، ذلك أن «المجتمع اللا سلطوي» (المجتمع الأناركي) Anarchist Society – وفق تصوره – هو مجتمع «الديمقراطية الليبرالية المباشرة» Direct Libertarian Democracy، من الأساس، حيث تؤخذ القرارات عبر مناقشة مفتوحة، وتكون للأقلية – حتى لو كانت صوتاً واحداً – فرصة للتعبير عن رأيها. بجانب أن القرارات تؤخذ جميعها بتوافق الآراء، وهي عملية بالغة الأهمية للتوافق، دونها سوف يصبح «الإبداع الاجتماعي» Social Creativity، وكذلك الفردي، من الأمور المستحيلة[٣٨].

وهنا، يحذر "موراي بيوكتشين" من "أن السلطة ستغدو دائماً أسيرة لدى طبقات النخب إذا لم تمتد، خلال «ديمقراطيات مباشرة»، بين الناس المخولين بها بما هم مستقلون من ناحية. وذوات اجتماعية من ناحية أخرى، بمعنى أنهم بوصفهم أفراداً أحراراً، فهم في الوقت باستطاعتهم أن يكونوا مسئولين عن مؤسسات جماهيرية. وإن منح الناس التفويض بهذا الشكل سوف يشكل تحدياً للدولة باعتبارها الرافد الرئيس للفكر القومي غير التقدمي، وللنزعة السلطوية بوصفها مصدراً للإكراه"[٣٩](*).

---

(37) Murray Bookchin, Social Anarchism or Lifestyle Anarchism: An Unbridgeable Chasm, Op. Cit, P. 16.

(38) Ibid, P. 17.

(٣٩) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مقال في كتاب: الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الثاني، تحرير مايكل زيمرمان، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، ٢٠٠٦م، صـ ٢٦١. وأنظر أيضا:
Murray Bookchin, The Ecology of Freedom: The Emergnce and Dissoulution of Hierarchy, Op. Cit., PP. 336-337.

(*) أعجب "موراي بوكتشين" بفكرة غياب «القسر» Coercive و«الاستبداد» في ثقافة «هنود وينتو» Wintu، السكان الأوائل لـ«كاليفورنيا»، حيث كان ثمة «سلوك تعاوني» Cooperative Behavior بين الجميع، والزعيم «لا يحكم» شعبه. بل «يقف" معهم». وهو ليس بأكثر من «مستشارهم»، ولا يلجأ أبداً إلى «القوة القسرية» لفرض آرائه. أنظر في ذلك:
Murray Bookchin, Toward an Ecological Society, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1980, PP. 60-61.

لقد فطن "موراي بيوكتشين" إلى أن موطن الداء في الديمقراطية التمثيلية بشكلها الحالي هو أنها تحولت إلى مبارزات بين أحزاب بيروقراطية هرمية لانتخابها، علاوة على تقديمها برامج فارغة من «العدالة الاجتماعية»، وحتى "الالتزامات" التي يقطعونها على أنفسهم، لجذب اهتمامات الناخبين، نادراً ما كانت محل تنفيذ واعتناء. وإذا كانت الأمل معقوداً على أحزاب الخضر والأحزاب الاشتراكية في أوروبا، فهي الأخرى لم تظهر أن ثمة فارقاً ملموساً مع نظرائهم من الأحزاب الرأسمالية. وهو ما أدى إلى حالة من "اللامبالاة" والعزوف السياسي لدى الجماهير(٤٠).

والحقيقة، أن هذا الطرح لا يعد خياليا في وقتنا الحالي، فقد أظهرت الممارسات العملية، أننا يمكننا الثقة في مقدرة الناس على إدارة شؤونهم الذاتية بأنفسهم، وفي ممارسة المفاوضات البينية بنجاح، وكذلك، في تيسير شئون مدنهم الخاصة من الأسفل إلى الأعلى، بالاعتماد على المبادئ الأخلاقية، وليس الإكراه والعقاب. على الرغم من أن ثمة متشائمون حول هذا الطرح، يرون بأن مثل هذه الثقة في غير محلها، وإن النزاعات والاختلافات والصراعات أمور راسخة لدى الإنسان ولا مفر منها. بيد أن النتائج التي رأيناها من الحالات القليلة التي أمتلك للناس فيها سلطة حقيقية على إدارة شئونهم، قدر أشارت إلى العكس، أي إلى ظهور التقدير والاحترام، والتوافق، وفي أسوأ الأحوال قبول الاختلاف في الرأي(٤١).

والجدير بالذكر، أن «االلا سلطوية الاجتماعية»، في هذا الطرح، تختلف تمام الاختلاف عن «اللا سلطوية المتطرفة». والتي عبر عنها أحد دعاة الأخيرة في القرن التاسع عشر الميلادي، "ماكس شتيرنر" Max Stirner (١٨٠٦-١٨٥٦م) باعتباره أن فكرة الأخلاق مجرد عبث من الأساس، وقد ابتدعها أولئك الذين يغلفون متطلباتهم الأنانية بمبادئ غير حقيقية. فليس ثمة أي شيء اسمه مجتمعاً. وبدلاً من هذا الأخير، فالذوات الفردية، هم فقط اللذين يحسب لهم حساب، علاوة على رغباتهم الذاتية. وهكذا فإن الأشخاص ليسوا مطالبين بأي شيء سوى إتباع رغباتهم وأهدافهم إلى الحدود النهائية لها، وبصرف النظر عما يؤدي إليه ذلك(٤٢).

في سياق متصل، ذهب "موراي بوكتشين" إلى أن الأفراد يستطيعون تأسيس مجموعات عبر «الفضاء الإليكتروني» cyberspace؛ تحدد فيه العلاقات التي ينشئونها أو يلتزمون مع بعضهم البعض، بحكم وجودهم الحقيقي بوصفهم كائنات اجتماعية(٤٣).

---

(40) Debbie Bookchin y Blair Taylor (Edición), Murray Bookchin: La Próxima Revolución las Asambleas Populares y la Promesa de la Democracia Directa, Virus Editorial i Distribuïdora, sccl, Barcelona, Espana, 2019,, P. 141.

(٤١) كارن روس، مرجع سابق، صـ ٢٢١.

(٤٢) المرجع نفسه، صـ ٢٠٢.

(43) Murray Bookchin, Social Anarchism or Lifestyle Anarchism: An Unbridgeable Chasm, Op. Cit, P. 15.

والواقع يشهد، أن الطريقة الأيسر لمعرفة أهداف الناس هي سؤالهم عما يبغون الوصول إليه، ذلك أنهم لديهم رغبات شديدة في الأسرار بذلك. ومع وجود "الشبكة البينية"، والهواتف الجوالة دائمة الحضور، ومواقع مثل: "الفيسبوك"، و"تويتر"، وما إلى ذلك، لم يعد مقنعاً لأي أحد إدعاء الجهل بما يفكر الناس فيه، على سبيل المثال، في الثورات التي اجتاحت بعض بلدان العالم العربي في أوائل العام ٢٠١١م، بث المحتجون الحالمون بالديمقراطية والحرية تغيرداتهم مباشرة، وقد نسفت تغريداتهم ذات الأحرف المائة والأربعين، الصور التقليدية في العالم الغربي حول الشرق الأوسط. فالمواقع الإليكترونية غدت "أصوات كوكبية" Global Voices تتزاخم فيها، وبشكل يومي، تقارير مختلفة، كتبها مواطنون من كافة أنحاء المعمورة، ولكنها، وبحق، كانت تقارير من قلب الواقع الملموس. فكانت أصواتاً متميزة بالنضارة، والوضوح، والإلحاح(٤٤).

وهنا يلاحظ الباحث أمرين، الأول، أن "موراي بوكتشين" لم يهدم المجتمع في مقابل «الاستقلال الذاتي للأفراد»، كما فعل بعض اللاسلطويون المتطرفين، حيث أكد على مبدأ «الجماعية» التي عمل على ربطها بقيم الديمقراطية المباشرة واحترام رأي الأغلبية والأقلية معا.

والأخر، التفاته إلى أهمية «الفضاء الإليكتروني» حيث يلتقي "الاستقلال الذاتي" بالثورة الرقمية وتحولاتها فائقة السرعة، وهو فهم يعارض به – ضمنيا – سياسات ما يعرف بـ«الجماهير الغفيرة» حيث يتم التعامل مع الكتل الجماهيرية بوصفها مجالاً للسيطرة، ووعاء للتعبئة السياسية والاجتماعية، وخصوصاً في ظل الأنظمة صاحبة الحزب الواحد المتعدد في تكويناته الاجتماعية، ويؤسس "موراي بوكتشين"، في هذا المجال، لما نُسميه الآن "عصر العاديين" أو "عصر الإنسان العادي".

والخلاصة، أن «اللا سلطوية الاجتماعية» تربط بين الأفكار «اللا سلطوية»، السابق ذكرها، حول «الاستقلال الذاتي»، و«الحرية الفردية»، وبين «التعاون المتبادل» و«الديمقراطية المباشرة». ذلك أن المساواة الاجتماعية واحترام رأي الأقلية مكملان للاستقلالية الذاتية والحرية الشخصية. وهو ما يعني محاولة تحقيق «التوازن» بين الفرد والمجتمع، وبيان أهمية كل منهما للآخر، وهو جوهر طرح «اللاسلطوية الاجتماعية». وهو ما يمايزها في الوقت عينه عن «اللاسلطوية المتطرفة» التي أغرقت في الفردية ورفضت فكرة المجتمع من الأساس.

٤: الايكولوجيا الاجتماعية (الوعي البيئي الاجتماعي) Social Ecology:

٤ -١: مفهوم الإيكولوجيا الاجتماعية:

بقدر ما كان "موراي بوكتشين"، مؤمناً بالفكر اللاسلطوي، ولا سيما الاجتماعي منه، كما سبق ذكره، بقدر ما كان في الوقت نفسه حاملاً للكثير من الهموم البيئية. وهذا أكسبه مكانة متميزة ورائدة في

(٤٤) كارن روس، مرجع سابق، صـ ١٩٩.

الحركات الخضراء الناشئة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ربط هذا بفكره اللاسلطوي. وهو يشرح ذلك قائلاً: "إن ما نحاول عمله هو استعادة جوانب محددة من الحلم الأمريكي. وبالطبع، توجد، أحلاماً أمريكية عديدة؛ أحدها بأسلوب جون وين راعي البقر الشهير الذي يخطو ناحية الغرب الأمريكي، ممثل للمذهب الفردي، وثمة حلم أمريكي آخر هو حلم الهجرة، إلى تلك القارة الجديدة، باعتبارها أرض الفرص الواعدة التي تُعبَّد طرقاتها بالذهب. بيد أنه ثمة حلم أمريكي ثالث، وهو الأقدم بينهم جميعاً، حيث يعود تاريخه إلى العصور البيوريتانية، وهو الحلم بالوصول إلى المجتمع المناهض للمركزية، والقائم على: المساعدة المتبادلة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وإقامة الديمقراطية المباشرة"[٤٥].

عند هذا تصادم "موراي بوكتشين" مع حلم أمريكي آخر؛ فخلال شيوع الوعي الإيكولوجي بين أطفال الأغنياء، أدَّى تنامي الإحساس القومي بالذنب لديهم بسبب حملات الإبادة الجماعية التي قام بها أجدادهم ضد السكان الأصليين إلى تمجيدهم لفكرة «الهمجي النبيل» والإقلال من البشر العاديين الذين لم تأتِهم تلك «الرسالة». وما كان ينظر إليه باعتباره «إيكولوجيا عميقة»[*] غدا فكراً سائدًا بين أولئك الأغنياء من أجل «الإفلات من شعور الذنب» واللهث وراء كل نمط من أنماط الإيمان الروحي، طالما أن الصكوك المصرفية سوف تتدفق إلى حساباتهم[٤٦].

المشكلة هنا كانت في عملية التحول العكسي التي حدثت لبعض المواطنين المؤيدين لأفكار بـ"موراي بوكتشين"، والذين تحولوا من المشاركة في المشكلات الاجتماعية، إلى إضفاء العاطفة المثالية على «البرية» والبيئة الطبيعية، مع كرة لاحق تجاه بقية البشر[٤٧].

من هذا المنطلق، كان الهدف من نقد "موراي بوكتشين" القوي لهذه الرؤى هو مواجهة عملية غض الطرف عن القضايا الاجتماعية الملحة في المجتمع الأمريكي المنقسم بشكل متصاعد، تلك القضايا التي رآها "موراي بوكتشين" هي مكمن داء مشكلاتنا البيئية، ليصل من ذلك إلى طرح رؤيته حول «الإيكولوجيا

---

[٤٥] كولين وارد، مرجع سابق، صـ صـ ٩٥-٩٦.

[*] مصطلح أبتكره الفيلسوف النرويجي "آرني نايس" Arne Næss (١٩١٢-٢٠٠٩م) وهي تعني بشكل عام الترابط الداخلي للمنظومات البيئية، والمساواة البيئية، مع التقدير العميق لقيمة التنوع والاختلاف والتعايش، والتعقيد البيئي، والتقدير العميق، والذي قد يصل إلى درجة التبجيل للطبيعة، بجانب الموقف غير الطبقي، والدعوة إلى اللامركزية. أنظر في ذلك:

جورج سيشنز، الإيكولوجيا العميقة، مقال في كتاب: الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الأول، تحرير مايكل زيمرمان، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٦م، صـ ٢٤٢.

[٤٦] كولين وارد، مرجع سابق، صـ ٩٦.

[٤٧] المرجع نفسه، الموضع نفسه.

الاجتماعية»، وهو طرح — حسب وصفه — يرمي إلى إيجاد تحدي جاد للمجتمع التقليدي بتاريخه الطبقي الضخم"[٤٨].

على هذا الأساس، ذهب "موراي بوكتشين" إلى "أن ما يحدد على نحو واضح اجتماعية «الإيكولوجيا الاجتماعية» هو إقرار الأخيرة بحقيقة كثيراً ما تم تغافلها، وهي أن جميع مشاكلنا البيئية في الوقت الحالي تقريبا تنشأ نتيجة مشاكل اجتماعية مستحكمة. وعلى العكس، لا يمكن بأي حال من الأحوال أدارك المشكلات البيئية في الوقت الحالي بوضوح، ناهيك عن إيجاد حل لها، دون التعاطي المصمّم مع تلك المشكلات داخل إطارها الاجتماعي"[٤٩].

بالإضافة إلى ذلك، يذهب "موراي بوكتشين" إلى أن المشاكل البيئية لا يمكن أن تكون مفهومة، دون فهم دقيق لفكرة «اللا عقلانية» Irrationalities التي تهيمن على المجتمع، والتي نراها في أمور عدة: اقتصادية، وعرقية، وثقافية، وخلال النزاعات بين الجنسين، وأمور أخرى كثيرة، والتي تكون جميعهاً، في جوهرها، معبرة عن أكثر وأخطر الاضطرابات البيئية التي نواجهها اليوم – بصرف النظر، عن تلك الناتجة من الكوارث الطبيعية[٥٠].

وهكذا، بحسب "موراي بوكتشين": "فإن النأي بالمشكلات البيئية عن المشكلات الاجتماعية – أو حتى الإقلال من، أو القبول الرمزي، بهذه العلاقة المتداخلة – سوف يعني بالتأكيد سوء فهم كبير لروافد الأزمة البيئية المتنامية، فالأسلوب الذي تتعامل به الكائنات البشرية بعضها البعض أمر أساسي للبحث في الأزمة البيئية. وإذا لم نقر بهذا الأمر بوضوح تام، فسوف نفشل – بشكل مؤكد – في فهم أن العقلية التراتبية الهرمية للعلاقات القائمة على الطبقية التي تنتشر بعمق كبير داخل المجتمع تتسبب في ظهور فكرة الهيمنة على عالم الطبيعة"[٥١].

وعليه، نفهم أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» لدى "موراي بوكتشين" ترتبط بشكل وثيق بفكرة نقد "الهيمنة على الطبيعة"، وهذه الفكرة كان المصدر الرئيس لها هو فكرة هيمنة الإنسان على أخيه الإنسان والتي انتقلت بدورها إلى العالم الطبيعي في إطار سلسلة الوجود القائمة على التراتبية (هذا الفهم السكوني، اتفاقاً، والذي لا يمت بأي صلة إلى عملية تطور الحياة نحو أنماط متطورة بشكل متنام من الفاعلية والمرونة). فالأمر الإلهي المذكور في التوراة لآدم ونوح بالسيطرة على العالم الحي، قد فهم بشكل خاطئ، لأنه كان قبل أي شيء تعبيراً عن تدبير اجتماعي[٥٢]. والحقيقة، أن البيئة لا تعترف بأي تسلسل هرمي

---

[٤٨] المرجع نفسه، الموضع نفسه.

[٤٩] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٣٧.

[50] Murray Bookchin, Social Ecology and Communalism, AK Press, 2006, Oakland, USA, 2006, P. 19.

[٥١] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٣٨.

[٥٢] المصدر نفسه، صـ ٢٥٢.

على مستوى النظام البيئي. فلا وجود لـ«ملوك الوحوش» ولا «النمل المتواضع». إن هذه المفاهيم هي "اتجاهات اجتماعية" Social Attitudes خاصة بنا خلال المواقف والعلاقات في العالم الطبيعي. فالجميع في النظام البيئي يعيش بوصفه جزءاً من التنوع البيئي، والجميع له دور في الحفاظ على توازن وسلامة البيئة(٥٣).

من هذا المنطلق، يرى "موراي بوكتشين" أنه بإمكاننا القضاء على فكرة الهيمنة على الطبيعة فقط خلال إيجاد مجتمع خال من تلك المؤسسات الطبقية والهرمية التي تؤدي إلى الخضوع والسيطرة في الحياة العامة والخاصة. بجانب العودة لتلك للقيم الأصيلة، أي قيم المساواة، والرعاية، والحد من التدافع البشري نحو السلع المادية، بجانب العمل بشكل جاد نحو الإبطاء من عملية السير نحو الاختراعات التقنية إلى الحد الذي يمكن خلاله لوسائل إنتاج جديدة أن تتداخل في مجتمع متوازن(٥٤).

ولتوضيح الأمور، على نحو أعمق، يمكن القول بأن «الإيكولوجيا الاجتماعية» ترى أن النزاعات الاقتصادية والعرقية والثقافية والجنسانية، تكمن من بين أمور أخرى، في صميم أخطر الاضطرابات البيئية التي نواجهها اليوم، وعندما نتتبع فكرة "السيطرة على الطبيعة" نجدها نابعة من الأساس من فكرة سيطرة الإنسان على الإنسان. ذلك أن فكرة السيطرة على الطبيعة نشأت أولاً داخل المجتمع بوصفها جزءاً من إضفاء الطابع المؤسسي عليه في الأنظمة القديمة، التي وضعت الشباب في درجات متفاوتة من العبودية لكبار السن، وفي الأنظمة الأبوية التي وضعت النساء في درجات متفاوتة من العبودية للرجال، وليس في أي مسعى للسيطرة على الطبيعة أو القوى الطبيعية. وبالتالي، لا يمكن إزالة الهيمنة على الطبيعية إلا خلال حل المشكلات التي تعود أصولها إلى التسلسل الهرمي والمكانة، والطبقية(٥٥).

مثلاً، بالنسبة لمشكلة الزيادة السكانية، ترى الحركات البيئية التقليدية أن الناس يتكاثرون بلا هدف مثل ذباب الفاكهة، وهو ما يضر البيئة ويستنزف المواد بشكل متلاحق، بيد أن "موراي بوكتشين" يرى أنها مشكلة ثقافية واجتماعية من الأساس، فقد وجد أن مستويات المعيشة اللائقة لها دور في تلك المسألة، وغالبًا ما يكون لدى العائلات المتعلمة بشكل معقول، عدد أقل من الأطفال من أجل تحسين نوعية حياتهم. علاوة على ذلك، لمسألة الوعي بالاضطهاد الجنسي، دورا مهماً في هذا السياق، والمفترض الآن أن النساء، مع تزايد الوعي لديهن، لم يعدن يسمحن لأنفسهن بأن يتحولن إلى مجرد منجبات تحت سيطرة الرجال(٥٦).

---

(53) Murray Bookchin, Toward an Ecological Society, Op., Cit.,, PP. 59-60.

(٥٤) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ صـ ٢٥٢، ٢٥٤.

(55) Christian Fuchs, The Dialectic of the Nature-Society-System, tripleC 4 (1): 1-39, 2006, P .29.

(56) Murray Bookchin, Free Cities: Communalism and the Left, Edited by Eirik Eiglad, Unpublished Manuscript: Not for Circulation, 2008, PP. 13-14.

من هذا المنطلق، تنظر «الإيكولوجيا الاجتماعية» إلى المشاكل البيئية بوصفها مشاكل اجتماعية من الأساس، بمعنى أنها تنبع من العلاقات الاجتماعية للسيطرة. وإن الطريقة التي ننظر بها إلى العالم الطبيعي متشابكة بعمق مع الطريقة التي ننظم بها العالم الاجتماعي، ذلك أن الأول مشتق من الأخير ويعمل، بدوره، على تعزيز الأيديولوجية الاجتماعية. مما يعني أن كل مجتمع تكون نظرة إلى الطبيعة نابعة من تصوره الخاص لنفسه. مما يعني، أيضاً، أن جميع مشكلاتنا البيئية الحالية، تنشأ من مشاكل اجتماعية عميقة الجذور. وهو ما يعني أهمية التعامل بحزم مع تلك المشاكل داخل المجتمع من أجل حل المشاكل البيئية(٥٧).

وهكذا، وعلى الرغم من إدراكها المستمر للحاجة إلى التغيير الروحي، تسعى "الإيكولوجيا الاجتماعية" إلى إصلاح عدم التوازن البيئي التي فرضه المجتمع على العالم الطبيعي خلال اختراق الأصول الهيكلية والذاتية لأفكار مثل "الهيمنة على الطبيعة". وهذا يعني أنها تقوم بتحدي منظومة الهيمنة بأكملها وتسعى إلى هدم التسلسلات الهرمية والصروح الطبقية التي تثقل كاهل البشرية(٥٨).

والجدير بالملاحظة، أن تلك الفكرة، قد استمدتها «الإيكولوجيا الاجتماعية» من «نظرية التطور المشترك»، وهي نظرية في علم الأحياء، تذهب إلى أن حدوث تغيرات الجينية في أحد الأنواع الحية، يكون نتيجة استجابة لتغيرات ومؤثرات خارجية. وقد أخذ "موراي بوكتشين" خلال طرحه حول «الإيكولوجيا الاجتماعية» هذه الفكرة وتم توسيعها لتشمل التفاعلات الاجتماعية والبيئية. باعتبار أن الأولى تؤثر على الأخرى(٥٩).

كما يجب كذلك، تغيير نظرتنا الآلية إلى العالم، وهي النظر التي تستمد أصولها من أفكار "رينيه ديكارت" René Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠م)، والتي أدت إلى جذرية التعارض بين الإنسان والطبيعة، وأدت، أيضاً، إلى الربط بين تحقق أحلام البشرية وفكرة الهيمنة التقنية على الطبيعة، خلال تصور الأخيرة بوصفها مورداً للاستخدامات البشرية. واستبدال كل ذلك بفكر متطور يتماهى مع نظرة إيكولوجية إلى العالم(٦٠).

بالإضافة إلى ما سبق، تقدم «الإيكولوجيا الاجتماعية» الدعوة إلى «الأخلاق التكاملية»، التي لا مفر منها أمام البشر من أجل أن يأخذوا دورا داعماً بهدف ديمومة سلامة المحيط الحيوي، باعتبارهم، على الأقل، الكائن الأكثر وعياً من بين كائنات العالم الطبيعي. ومن ثم فهي ترى أن البشر تقع عليهم

---

(57) Christian Fuchs, Op. Cit., P .29.

(٥٨) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٨

(59) Raul P. Lejano, Relationality and Social–Ecological Systems: Going Beyond or Behind Sustainability and Resilience, Sustainability, 11, 2760; MDPI, Basel, Switzerland, 2019, P. 5.

(60) Brian Morris, The Legacy of Murray Bookchin, In: Social Ecology and the Right to the City: Towards Ecological and Democratic Cities, Edited by Federico Venturini Et..Al, Black Rose Books, Montréal/Chicago/London, 2019, P. 18.

مسئولية خلقية بهدف العمل على نحو خَلَّاق من أجل تفتح ذلك التطور. ولذلك تشدد «الإيكولوجيا الاجتماعية» على القول بالحاجة إلى تمثيل أخلاقها التكاملية عبر بنى اجتماعية واقعية، سوف تمنح معنى حقيقياً وعملياً لأهدافها الكلية ولانخراط الإنسان بوصفه فاعلاً خلقياً واعياً في تبادل التأثير بين كافة الأنواع الحية[٦١]. من هذه الزاوية، تعمل «الأخلاق التكاملية» في «الإيكولوجيا الاجتماعية» على القضاء على السلبيات التي منيت بها «الأخلاق الطبيعية» Naturalistic Ethics، عبر نشر «أخلاقيات» من قبيل: التكافل، والتبادلية، والحرية، والذاتية، بوصفها دعائم لمجتمع تعاوني خالٍ من الهيمنة[٦٢].

على هذا الأساس، يذهب "موراي بوكتشين"، إلى: "أن شكل العقل الذي يصوغ الاختلافات بين البشر وأنماط الحياة الأخرى في أطر «السيادة» و«الدونية» سوف يفتح الطريق نحو نظرة تتعامل مع التنوع بأسلوب بيئي، أي تبعا لـ«الأخلاق التكاملية». ففي مثل تلك الأخلاق، سوف تتكامل الكائنات البشرية مع غيرها من الكائنات غير البشرية، بما تملكه من مقدرات خاصة على توليدات كلية خلاقة ومتطورة وثرية، لا باعتبارها نوعاً «مهيمناً» بل بوصفها نوعاً رافداً ومسانداً"[٦٣].

وعلى الرغم من أن هذه الفكرة التي ارتدت في بعض الأحيان ثوب اللجوء إلى «إعادة إضفاء الشكل الروحاني على العالم الطبيعي» تتكرر خلال أدبيات «الإيكولوجيا الاجتماعية»، فيجب ألا ننظر إليها أنها من قبيل الروحانية الدينية التقليدية. بمعنى أن الروحانية التي تقدمها «الإيكولوجيا الاجتماعية»، هي روحانية طبيعية بشكل محدد وعلى نحو حاسم (كما يتوقع الإنسان، بالنظر إلى علاقتها بالإيكولوجيا النابعة من العلوم الحيوية)، وليست متجاوزة للطبيعية أو ضرباً من ضروب وحدة الوجود[٦٤].

وعليه، ففي «الإيكولوجيا الاجتماعية»، تتركز الروحية الطبيعية الحقيقية خلال مقدرة البشرية المتنورة على العمل بوصفهم فاعلاً خلقياً في الإقلال من المعاناة غير الضرورية، والولوج في الترميم البيئي، واحتواء التذوق الجمالي للتطور الطبيعي بكامل تنوعه وخصوبته[٦٥].

أما بالنسبة للتقنية، نجد "موراي بوكتشين" يعتبر "أن التقنيات الأكثر ليونة التي تنتجها سوق النمو أو الموت[*]، كما يسميها "موراي بوكتشين"، لن تتوقف كذلك على أن تكون مطية للاستخدام من أجل أهداف رأسمالية جد مدمرة. فمنذ قرنين من الزمان، كانت الأشجار في غابات إنجلترا تقطع إرباً ليتم

---

[٦١] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٨.

[62] Christian Fuchs, Op. Cit., P .30.

[63] Ibid., P .30.

[٦٤] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، صـ صـ ٢٣٨-٢٣٩

[٦٥] المصدر نفسه، صـ ٢٣٩

[*] مصطلح يعبر به "موراي بوكتشين" عن التنافس في "الرأسمالية"، حيث تسيطر فكرة الأرباح وزيادة الإنتاج وخلق الحاجات – وكثير منها بلا نفع بكل بساطة – مما يعطي زخما انفجاريا للاستهلال والتقنية معا. أنظر في ذلك: موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ صـ ٢٥٢، ٢٥٤.

استخدامها في عمليات صهر الحديد، باستخدام معاول لم تتغير تقريباً منذ عصر البرونز، كما أن أشرعة المراكب حاملة البضائع إلى كافة أنحاء العالم بقيت تقوم بدورها بشكل جيد جداً حتى القرن التاسع عشر الميلادي[٦٦]. وثمة غابات تم أبادتها بالكامل، في العصور السابقة، من أجل تعبيد طرق أو إقامة مدن في الولايات المتحدة الأمريكية، باستخدام محاريث بسيطة، وعربات تجرها الخيول. وهكذا لم يتطلب الأمر ثورة تقنية لإقامة الدمار الذي نشهده الآن"[٦٧].

وهكذا، ما قامت به التقنيات الحديثة، بحسب "موراي بوكتشين"، هو تسريع سيرورة كانت تسير قدماً على نحو جيد عند أواخر القرون الوسطى. فهي لم تخرب الكوكب بنفسها؛ وإنما حرّضت على قيام ظاهرة تتمثل في هيكلية السوق المتوسعة التي تمتد بجذورها في واحد من أكثر التحولات الاجتماعية الرئيسة في التاريخ: توسيع الهرمية والطبقة إلى منظومة توزيع تقوم على التبادل وليس بالحريّ على العون المتبادل والتكاملية"[٦٨].

بناء عليه، يذهب "موراي بوكتشين"، أننا لا يمكننا إلقاء اللائمة حول الاختلالات البيئية على التقنية الحديثة بكافة تطوراتها وحدها، فالإنسان، وإدارته غير العقلانية، هو المسئول أولاً وأخيراً[٦٩].

بيد أن ذلك وأن كان يعني أن المسئولية لا يجب إلقاؤها على التقنية وحدها ولا سيما الحديثة منها، وإنما على الاستخدام البشري غير العقلاني لها. لكنه لا يعني في الوقت ذاته النأي عن إيجاد حلول للآثار السلبية للتقنية على البيئة.

وعليه، يدعو "موراي بوكتشين" إلى السعي نحو إيجاد «التقنيات الإيكولوجية» Ecological Technology، والتي تعني حزمة من التقنيات الرامية إلى تحسين البيئة وفق تقنيات نظيفة وأمنه، بداية من رفض ثقافة الاستهلال، ومرورا بإعادة الاعتبار إلى الزراعة الفلاحية Agriculture، ووصولاً إلى الدعوة إلى استخدام «تقنيات نظيفة» مثل «الطاقة الشمسية» Solar Energy، التي يمكن الاستفادة منها في تدفئة المنازل، وطهي الطعام، وغلي الماء، وصهر المعادن، بل وحتى إنتاج الكهرباء عبر أجهزة تستخدم الطاقة الشمسية حَصْرِيًّا، والهدف من ذلك كله من أجل إعادة التوازن بين الإنسان والطبيعة. على الرغم من أننا نعلم جيداً أنه من الصعوبة بمكان نشر مثل هذه التقنيات على مستوى العالم[٧٠].

في الإطار ذاته، يلفت "موراي بوكتشين" الانتباه إلى أهمية "مجتمع الشبكة الاجتماعية السيبرانية" socio-cybernetic network، التي تعمل على هدم فكرة «التسلسل الهرمي» Hierarchy، من

---

[٦٦] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٧.

[67] Murray Bookchin, Free Cities: Communalism and the Left, Op. Cit., P. 13.

[٦٨] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٧.

[69] Murray Bookchin, Free Cities: Communalism and the Left, Op. Cit., P. 13.

[70] Janet Biehl (Edi.), The Murray Bookchin Reader, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1999, PP. 26-29

ناحية. والتوعية بالأخطار البيئية المحدقة، والتي من أهمها التحذير من "الانقراض" Extinction[*]، من ناحية أخرى[٧١].

والخلاصة؛ لقد أثبت لنا "موراي بوكتشين" بشكل قوي أن «اللا سلطوية» هي الأيديولوجية السياسية الوحيدة القادرة على مجابهة التحديات التي يفرضها وعينا البيئي الجديد على النطاق المقبول من الأفكار السياسية. لقد أصبحت «اللا سلطوية» أكثر ارتباطًا على نحو متزايد بالقرن الحالي[٧٢].

وهكذا، كانت «الإيكولوجيا الاجتماعية» لدى "موراي بوكتشين" نابعة من قناعاته «اللا سلطوية»، خلال دعوته الرامية إلى النظر إلى ممارسات مثل الهرمية والهيمنة من أجل فهم جذور مشاكلنا الاجتماعية ومن ثم البيئية. الهرمية التي ظهرت في المجتمع بأشكال تقليدية موروثة، قبل أن تتحول إلى أنماط سياسية واقتصادية، مثل خضوع الشباب لهيمنة الأكبر سناً، والنساء لهيمنة الرجال، وتنتقل تلك العلاقات من السيطرة من المجتمع إلى البيئة، حيث يتم التصرف معها بلا حسبان عبر إخضاعها للهيمنة خلال المجتمع – ولا سيما الرأسمالي – والتقنية حتى وإن كانت الأخيرة في أبسط صورها.

٤ -٢: المجتمع الإيكولوجي (المجتمع البيئي):

بناء على ما سبق، يتجه "موراي بوكتشين" إلى الحديث عن «المجتمع الإيكولوجي» Ecological Society، بوصفه الهدف الرئيس لـ«الإيكولوجيا الاجتماعية»، فالأخيرة لا تسعى فقط إلى تحقيق التجدد الخلقي، ولكن، وقبل كل شيء، إعادة البناء الاجتماعي من خلال التوجيه البيئي. كما تؤكد أن اللجوء إلى السلطات القائمة (التي تعني قوى السوق العمياء والعلاقات التنافسية) وحدها فحسب، لا جدوى من ورائه على النحو الأغلب. وفي الواقع، غالباً ما تختفي علاقات القوة الحقيقة التي تنتشر في عصرنا والتي

---

[*] يُمكن القول بأنّ الانبعاثات الملوثة للهواء مثل "ثاني أُكسيد الكربون" بجانب النفايات والمُبيدات، مثلما تؤثر سلباً على الإنسان والغلاف الجوي فهي تؤثر بالسلب أيضاً على جميع الكائنات الحية، ويظهر هذا جلياً في عديد من الفصائل المُهددة بخطر "الانقراض" خاصةٍ "فصائل الطيور" و"الثدييات". وهذا ما أكدته عمليات قياس خطر "الانقراض" التي تمت عبر تقييم كثافة الفصائل المُختلفة المُعرضة لخطر "الانقراض" في الوقت الراهن أو التي من المُحتمل أن تتعرض لهذا الخطر قريباً، ثم دراسة الأسباب وراء زيادة معدلات انخفاض هذه الكثافة، والتي بينت أنّ الأنشطة البشرية الجائرة، وخصوصاً في مسألة التلوث البيئي، يليها، "الصيد" Hunting، تُعد السبب الرئيس في انخفاض كثافة هذه الفصائل إلى مُستوى الخطر. أنظر في ذلك:

Jeremy T. Kerr & David J. Currie, Effects of Human Activity on Global Extinction Risk, Conservation Biology, Vol. 9, No. 6, (Dec., 1995), PP. 1529, 1536.

[71] John Raven, Advancing and Defeating the PEGS Agenda: Socio-Cybernetics and Murray Bookchin, The Good Society, Vol. 19, No. 2 (2010), p. 79.

[٧٢] كولين وارد، مرجع سابق، صـ ٩٩.

تجعل دوافعها تحقيق مجتمع إيكولوجي يبدوا مجرد مسألة "موقف" أو "خلاص شبه ديني" أو "تغيير روحي"(٧٣).

على سبيل المثال، يجب تغيير نظرتنا البرجماتية إلى الأرض باعتبارها مجرد ممول أو أداة لسلتنا الغذائية، إلى أنها إليها باعتبارها موطن ومنزل Oikos لكافة الكائنات الحية. وقد لا نكون مبالغين إذا وصفنا المجتمعات البشرية، على مدار التاريخ، بأنها "مجتمعات التربة" Soil Community، فقد لعبت أنواع التربة والتطورات المتلاحقة في مجال التقنية الزراعية دورًا رئيسًا، وغالبًا ما كان حاسمًا، في تحديد ما إذا كانت الأرض ستعمل بشكل تعاوني أو فردي – أي بطريقة تصالحية أم استغلالية - وهذا بدوره أثر بعمق على نظام العلاقات الاجتماعية السائد(٧٤).

وفي الواقع، تعترف «الإيكولوجيا الاجتماعية» – سواء رضينا بذلك أم لا – بأن مستقبل الحياة على كوكب الأرض يعتمد على مُستقبل المجتمع. بل وتخطو إلى أبعد من الطبيعي والاجتماعي باتجاه توليف جديد يحوي على أقل ما في كلّ منهما. ولسوف يتجاوز مثل هذا التوليف على كليهما في شكل "طبيعة حرّة" لأنها إبداعية وواعية بذاتها، حيث يتدخل في إطارها البشر في التطور الطبيعي بأفضل ما يملكون من مقدرات – شعورهم الخلقي، ومستواهم منقطع النظير في الفكر القائم على الفهم والمقدرة على التواصل(٧٥).

ولتوضيح الأمور، على نحو أعمق، يمكن القول، بأن الفكرة المركزية لـ«الإيكولوجيا الاجتماعية»، عند "موراي بوكتشين"، هي أن الطبيعة هي التي أدت إلى ظهور المجتمع، والأخير غدا الآن هو المؤثر على الطبيعة، التي هي سبب نشأته من الأساس. ولن ينشأ احترام الطبيعة من القيم أو الحقوق المتأصلة في الطبيعة، ولكن خلال مقدرة البشر على اعتبار الطبيعة قيمة ومهمة للمجتمع(٧٦).

وسيكون التحرر الحقيقي من كل تلك الإشكالات، بحسب "موراي بوكتشين"، عن طريق ترسيخ مجال جديد، قائم على فكرة «الطبيعة الحرة» Free Nature، التي من شأنها أن تتعامل عن قصد، وبتفكير، مع خطر هدم المحيط الحيوي، وأفكار من قبيل: الصراع، والهيمنة، والهدر، والإكراه، خلال نبذ فكرة الربط بين تحقيق الإمكانات البشرية – المليئة بالتناقضات والتضادات والمصالح المتضاربة، وفكرة الهيمنة على الطبيعية، تلك الفكرة التي شوهت المقدرات الفريدة للإنسانية على التنمية. ولن يكون ذلك سوى خلال الدعوة إلى طرح جديد يوحد بين فكرة تطور البشرية وتحقيق «المجتمع الإيكولوجي»(٧٧).

---

(٧٣) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ صـ ٢٥٧-٢٥٨.

(74) Murray Bookchin, Radical Agriculture, Appeared in Radical Agriculture, Edited by Richard Merrill, Zabalaza Books, South Africa 1972, P. 6.

(٧٥) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، صـ صـ ٢٥٨-٢٥٩.

(76) Christian Fuchs, Op. Cit., P .30.

(77) Ibid., P .30.

ومن الناحية التطبيقية، لا يمكن تحقيق «الطبيعة الحرة»، عند "موراي بوكتشين"، دون إلغاء "مركزية المدن" بهدف إيجاد مجتمعات موحّدة اتحادياً (كونفيداليا) ومرتبطة بشكل حيوي بالمناطق الطبيعية الكائنة فيها. كما يعني ذلك استخدام تقنيات إيكولوجية، مثل: الطاقات الشمسية، والرياح (طواحين الهواء)، وغاز الميثان، والمصادر الأخرى، بجانب الاستفادة من أشكال الزراعة العضوية. وتعني أيضاً تشديداً لا على إعادة التدوير فقط، وإنما أيضاً على إنتاج بضائع ذات جودة عالية بحيث يمكن أن تدوم لأكثر من جيل محققة شكلاً من الاستدامة(٧٨).

والواضح هنا أن "موراي بوكتشين" قد أدرك أن اللبنة الأولى لبناء مجتمعه الإيكولوجي، تكون عبر الانتقال من مركزية المدن إلى تكوين تجمعات لامركزية بهدف أن يعيش الناس في مجال أقل اتساعاً، يستطيعون خلاله ممارسة الديمقراطية المباشرة وحكم أنفسهم بأنفسهم، بجانب استخدام الطاقة النظيفة، وسهولة ممارسة زراعة المحلية ومن ثم تحقيق الاكتفاء الذاتي.

مع الأخذ في الاعتبار، أن "موراي بوكتشين" يميز بشكل كبير بين المدينة والتمدن. ذلك أن تفشي الأخير يعني تهديد ما تملكه المدينة من مقومات عبر ما يسميها التقنية التحويلية Transformative Technologies(٧٩).

في الإطار عينه، يعني «المجتمع الإيكولوجي» الاستعاضة بالعمل الإبداعي عن الشغل الأحمق وتوكيداً على الشخصية الحرفية المتفوقة فنياً بحيث يكون لها الأولوية على الإنتاج الممكنن. ويعني أن يكون قضاء وقت الفراغ مصحوباً بالإبداع، والمشاركة في الشئون العامة، والوفرة المعقولة Reasonable Abundance في وسائل الحياة. ويأمل الإنسان بأن المُتاحية المحضة للحريات والبضائع في اختيار شكل الحياة المادية ستؤثران بشكل عاجل أم أجل في الناس، بحيث ينتهجون الاعتدال في جميع أنماط حياتهم، وذلك ردا على "النزاعة الاستهلاكية الطائشة" the mindless consumerism التي تعمل على تعزيزها الرأسمالية(٨٠).

وبالتالي، يغدو «المجتمع الإيكولوجي» في شكله النهائي مجتمعاً لـ«التنوع» Diversity، و«العفوية» Spontaneity، و«العلاقات غير الهرمية». ويتجاوز جميع أشكال الانقسامات والتمييز العدائي سواء أكانت بين الجنسين، أم المدينة والريف، أم الإدارة والمجتمع، وصولا إلى توليفة أكثر إنسانية وبيئية(٨١).

---

(٧٨) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٩.

(79) Murray Bookchin, Free Cities: Communalism and the Left, Op. Cit., P. 72.

(٨٠) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٥٩. وأنظر أيضاً:
Murray Bookchin, Free Cities: Communalism and the Left, Op. Cit., P. 78.

(81) Murray Bookchin, Toward an Ecological Society, Op. Cit., P. 69.

في سياق متصل، يذهب "موراي بوكتشين" إلى أنه "لا يمكن لأي رؤية أو أخلاق لـ«المجتمع الإيكولوجي»، مهما تكن إيجابية، أن تكون لها معنى ما لم تتجسد خلال سياسات حيّة تعبر عن هذا المجتمع". يقول "موراي بوكتشين" : "ولا أقصد بـ"السياسة" ممارسة حكم وإدارة الدولة بأسلوب من نسميهم "سياسيين". بل أقصد نواباً مختارين أو منتخبين لصوغ السياسات التي تعد المحاور الموجَّهة لإدارة الشئون العامة والحياة الاجتماعية. فالنسبة لـ«الإيكولوجيا الاجتماعية» ترادف السياسة ما كانت ترادفه ذات مرّة دولة المدينة الديمقراطية في أثينا قديماً منذ ألفي عام ميلادي تقريباً: صوغ السياسات عبر جمعيات جماهيرية تديرها مؤسسات مفوَّضة ناصحة باهتمام. هيكليتها تقوم على منسَّقون تسهل إقالتهم إذا عجزوا عن الالتزام بقرارات مواطني الجمعيات"(٨٢).

والواقع، أنه إذا كان "موراي بوكتشين" يحاجج بأن «الإيكولوجيا الاجتماعية» تنبع من قناعتنا بأن جميع مشاكلنا البيئية الحالية – تقريبًا – تنبع من مشاكل اجتماعية عميقة الجذور. فإنه باستخدام مصطلح «الديمقراطية» خلال تأكيده على المعنى الأصلي والحقيقي له، أي «الديمقراطية المباشرة» بما تعنيه من أن يحكم المجتمع نفسه بنفسه خلال المشاركة المتساوية بين جميع الأفراد، وصولاً إلى القرارات والوظائف السياسية. ينتقد في الوقت ذاته، «الديمقراطية التمثيلية»، بشكلها التقليدي، حيث تتركز القرارات السياسية في أيدي الأقلية (الأوليجارشية) Oligarchy. وهكذا، فإن الديمقراطية المباشرة (الجماعية)، هي فقط المنسجمة مع دعواته البيئية، والعكس صحيح(٨٣).

في سياق متصل، يذهب "موراي بوكتشين"، إلى الحديث عن الممارسات السياسية ومفاهيم القوة والسلطة داخل «المجتمع الإيكولوجي». معتبراً: "أن تنظيم المجالس المحلية بشكل متتابع، وإدخال اتحاداتها التعاهدية (كونفدرالياتها) في شبكة توسع دائمة، سيشكل سلطة ثنائية بالتعارض مع الدولة – الأمة، وسوف يتم في الإطار ذاته تجديد مقومات النواب الجمهوريين ليصبحوا مواطنين يشاركون في ديمقراطية مباشرة – مع التسليم بأن كل ذلك سوف يأخذ وقتاً طويلاً. لكن النتيجة النهائية، ستكون وحدها صاحبة المقدرة على إنهاء هيمنة الإنسان على أخوانه من بني البشر، وبالتالي معالجة تلك المشكلات البيئية التي تهدد على نطاق واسع وجود مجال حيوي قادر على دعم أشكال الحياة المتقدمة"(٨٤).

في الإطار ذاته، يحذر "موراي بوكتشين" من النكوص عن التحول إلى مثل هذا المجتمع، قائلاً: "أن أي مجتمع يحاول العيش في عزلة أو تطوير اكتفاء – ذاتي بشكل صوري. سوف يخاطر بالتحول

---

(٨٢) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ صـ ٢٥٩–٢٦٠. وأنظر أيضا:
Murray Bookchin, The Ecology of Freedom: The Emergnce and Dissoulution of Hierarchy, Op. Cit., PP. 336-337.

(83) Alexandros Schismenos, Direct Democracy, Social Ecology, and Public Time, In: Social Ecology and the Right to the City: Towards Ecological and Democratic Cities, Op., Cit, P .128.

(٨٤) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مرجع سابق، صـ ٢٦٢

إلى مجتمع منعزلاً، بل وحتى عنصرياً، ومن هنا تأتي الحاجة إلى أهمية أن تمتد السياسة البيئية إلى تكوين المجتمعات البيئية الاتحادية التعاهدية (الكونفيداليات الإيكولوجية)، وإلى تشجيع وتعزيز ورعاية الاعتماد المتبادل الصحي، بدلاً على الاعتماد على الغير بشكل تواكلي أحمق. وتهدف «الإيكولوجيا الاجتماعية» التعبير عن أخلاقها في سياسة المجالس المحلية الاتحادية التي تكتسب بشكل جماعي حقوق الحكم الذاتي عبر شبكات من تلك المجالس الاتحادية. إذ ترسل إليها البلديات والمدن نوابها القابلين للعزل، وذلك لحل أي نزاعات، وسوف تصدر جميع القرارات بأغلبية أعضاء المجالس الشعبية للبلديات والمدن الاتحادية(٨٥).

والمعنى هنا، أن النواب في المجالس الشعبية يتم انتخابهم على أساس الديمقراطية المباشرة من القرى المختلفة، والبلدات، وحتى أحياء المدن الكبرى التي تتكون منها المجالس الاتحادية، وهم قابلون للعزل، ومسئولون أمام التجمعات التي انتخبتهم بالنسبة لمهام تنسيق وإدارة السياسات، مع ملاحظة أن وظيفتهم لا تشكل هنا أي امتياز فهي مجرد وظيفة إدارية مهمتها تنسيق السياسات فحسب. وهكذا، ينطوي المنظور الاتحادي على تمييز واضح بين قرار السياسة، من ناحية، والتنسيق والتنفيذ من ناحية أخرى. القرار حق حصري لـ«التجمعات الشعبية»، على أساس ممارسات الديمقراطية المباشرة. أما الإدارة والتنسيق فهما مسؤولية المجالس الاتحادية، وهي أداة الربط بين القرى، والبلدات، والأحياء، والمدن في الشبكات الاتحادية. وهكذا تصبح السلطة من أسفل إلى أعلى(٨٦).

والجدير بالإشارة، أن الهدف هنا هو منح المواطنين السلطة، فإذا كانت الحكمة التقليدية تقول إن ثمة بعض الناس يملكون السلطة وبعضهم الآخر لا. فأولئك الذين لا يملكونها ينظر إليهم – وغالبًا ما ينظرون كذلك إلى أنفسهم – على أنهم بلا حول ولا قوة. هذا الفهم يؤدي إلى استنتاج أن أولئك الذين بلا سلطة يمكن تمكينهم إياها من قبل أصحاب القرار. بيد أن الحقيقية هي أن السلطة التي يملكها الناس بمعنى حقيقي هي التي تتكون عندما تجتمع استبصاراتهم وخبراتهم ومواهبهم مع استبصارات وخبرات ومواهب الآخرين(٨٧).

وواقع الحال يشهد بأن الناس تكتسب السلطة عن طريق منحهم المسؤولية أو امتلاك سلطة حل مشاكلهم وأفعالهم. إذا كان كل ما يقدمه المواطنين هو إقرار الأفعال التي تتم باسمهم، فإن عبارة من قبيل نحن: الجمهور، الشعب لن تصبح أكثر مما يمكن أن نطلق عليه "العامة المقتنعين"، التي لا تمتلك المقدرة على ترسيخ فكرة الحكم الذاتي. وبالتأكيد يجب على المواطنين أن يصغوا إلى الآراء المنطقية وأن يبحثوا عن المعلومات؛ ولكن، في نهاية الأمر، يجب عليهم أن يتخذوا القرارات من خلالهم وأن يتصرفوا

---

(٨٥) المصدر نفسه، صـ ٢٦٠

(86) Debbie Bookchin y Blair Taylor (Edición), Op. Cit., P .129.

(٨٧) دايفيد ماسيوس، مرجع سابق، صـ ٤٠.

بناء عليها. فالمواطنون أكثر ميلاً لقبول ولتبني ما شاركوا في إقراره واختياره مما تم فرضه عليهم واختياره لهم. إن تكون مقتنعًا بما اختاره الآخرون لن يكون له الوقع السياسي نفسه – إنه لا يعمل على إيجاد احتياطيات سواء أكانت للإرادة السياسية أم للطاقة(٨٨).

لقد أدرك "موراي بوكتشين" أن مؤسسات «المجتمع الإيكولوجي» يجب أن تكون ديمقراطية لكي يؤسس فكرته اللاسلطوية والتي تعني توزيع السلطة على أوسع نطاق، وهكذا يستطيع القضاء على علاقات الهيمنة والهرمية التي خلفتها الرأسمالية. وسوف يستطيع المواطنون عبر هذه المجالس الديمقراطية اتخاذ المعالجات اللازمة لازمتنا البيئية. مع الأخذ في الاعتبار أهمية أن تعمل هذه المجالس على السعي نحو الاتحاد مع بعضها البعض في اتحادات تعاهدية (كونفيدراليا) لتتمكن من العمل على نحو أرحب وأكثر إفادة.

والملاحظ في هذا السياق، إعادة إحياء "موراي بوكتشين" لبعض أفكار «اللا سلطوية الشيوعية» Communist Anarchism عند "بيتر كروبوتكين"(*) Peter Kropotkin (١٨٤٢–١٩٢١م). الذي ذهب إلى أن الطبيعة والمجتمع يقومان على التبادلية والتعاون، وبالتالي فإن «المجتمع التعاوني» Co-Operative Society القائم على المساعدة المتبادلة، والمشاركة، والديمقراطية الشعبية Grassroots Democracy، في جميع مجالاته، سيكون تحقيقًا للإمكانات الجوهرية في الطبيعة والمجتمع(٨٩).

من هذا المنطلق، يذهب "بيتر كروبوتكين" إلى وجوب أن يعتمد «التعاون الخلاق» بين البشرية والطبيعة لإيجاد مجتمع يقوم على المشاركة، والتعاون، والديمقراطية المباشرة، بحيث نصل في النهاية إلى تحقيق المجتمع المستدام بيئيًا، وذاتي الإدارة، والقائم على التعاون المثمر بين مجالس البلديات (الكوميونات) الديمقراطية المباشرة اللامركزية والتي تتحد سوياً لتكوين «مجلس المجالس» (كوميون الكوميونات) Commune of the Communes(٩٠).

أما بالنسبة للتعليم، في «المجتمع الإيكولوجي»، فقد ربط "موراي بوكتشين" بين كلاً من «الديمقراطية المباشرة» والسياسيات التعليمية في «المجتمع الإيكولوجي»، والمقصود هنا السعي لتحقيق

---

(٨٨) المرجع نفسه، الموضع نفسه.

(*) جغرافي روسي، يعد من المنظرين الأوائل للحركة اللاسلطوية التحررية، رأى أهمية أن تسعى جميع البلدان إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، عبر إنتاج احتياجاتها الخاصة وتأمين غذائها. كما تحدث عن الروابط التعاونية عند الشعوب القديمة، أي ما قبل الإقطاعية، مما دعاه إلى القول بأن ليس كل المجتمعات البشرية قد قامت على التنافس كما هو الحال في أوروبا الصناعية. أنظر في ذلك:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1_%D9%83%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%83%D9%8A%D9%86

(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

(89) Christian Fuchs, Op. Cit., P .29.

(90) Ibid., P .29.

التعليم الشامل والممتد لجميع المواطنين، بتساوي كامل، عبر جميع المراحل التعليمة. وهو طرح يعارض به ضمنياً السياسات «النيوليبرالية» Neoliberalism التي تميل إلى «خصخصة التعليم» Privatization عبر تقليص دور التعليم الحكومي منخفض الكلفة، في سبيل دعم المدارس الخاصة، ورفع الرسوم المفروضة على الطلاب في التعليم العالي(٩١).

والملاحظ أن هذا الطرح، يتقاطع، مرة أخرى، مع الأفكار نفسها التي ذهب إليها "بيتر كروبوتكين" الذي ربط بين «اللا سلطوية» وفكرة «التنمية الكاملة»، خلال مناداته بأن تكون الأخيرة ممتدة لجميع أعضاء المجتمع، وجميع الموهوبين، لافتاً الانتباه إلى أنه دون الاهتمام بالحق في التنمية الكاملة سوف يتم احتكار التعليم للقلة، أو الأقليات صاحبة الامتيازات، لأنهم ببساطة أصحاب الحق (وحدهم) في التنمية الكاملة. وللأسف يتم ذلك تحت مظلة تشريعية من الدولة، من أجل الحفاظ على «احتكارات الملكية»(٩٢).

كما يتقاطع، أيضاً، مع أفكار موطنه في ولاية «فرمونت»، "جون ديوي" John Dewey (١٨٥٩-١٩٥٢م)، حول «الديمقراطية الإبداعية» (اَلْخَلَّاقَة) Creative Democracy – التي يعبر عنها أحياناً بـ«الديمقراطية التداولية» Deliberative Democracy و«الديمقراطية الكثيفة» Thick Democracy –، والتي تستمد أصولها من أفكار "جون ديوي" حول الديمقراطية التي تعمل على إعطاء جميع المواطنين فرصاً متكافئة في الحقوق والواجبات وبخاصة الفرص التعليمية(٩٣). فلم يكن سهلاً أن يغدو أحد سكان «فرمونت» اشتراكياً أو شيوعياً، فقد أمن "جون ديوي" بأهمية الخلق الشخصي، والاعتماد على الذات، والحياة الريفية، واجتماعات المدينة، والتعاون الديمقراطي، وتكافؤ الفرص. بجانب أن تصبح جوانب الحياة الاقتصادية وغيرها أكثر إنصافاً وعدالة. فقد رام "جون ديوي" أن يغدو كل شيء اشتراكياً (بمعنى ديمقراطي، والدعوة إلى المساواة بين الناس)، دون أن يصبح اشتراكياً (بمعنى صراع الطبقات، وديكتاتورية البروليتاريا، وهيمنة الحزب الواحد وذوبان الفرد في الطبقة)(٩٤).

كما أمن "جون ديوي" بأنه ينبغي أن يكون التعليم متاحاً للجميع بلا استثناء، على أساس مساواة الكبار والأطفال من مختلف الأديان، والأجناس البشرية، والوضع الاجتماعي. ولا يعاني أي إنسان من مركب الدونية. بل يجب على الجميع أن يتعاونوا داخل فصول الجامعة والمدرسة، وأن ينموا روحاً

---

(91) Michael A. Peters, Ecopolitical Philosophy, Education And Grassroots Democracy: The“Retern” of Murray Bookchin (And John Dewey?), Geopolitics, History, and International Relations 9 (2), 2017, P.12.

(92) P. Kropotkin, Op. Cit., P .50.

(93) Michael A. Peters, Op. Cit., P.12.

(٩٤) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م، صـ صـ ٥٠٨-٥٠٩

ديمقراطية، وإن يتذكروا هذه الروح في بيوتهم، ومجتمعاتهم، وأن يكونوا مجتمعاً متقدماً، ومتسامحاً، ومسالماً، ومتعاطفاً[٩٥].

وهكذا، يمكن أن نتلمس التأثير الواضح لأفكار "جون ديوي" على أفكار "موراي بوكتشين"، والتي تخللت عديداً من أفكاره حول الديمقراطية والتعليم والميول الاشتراكية. وربما يعود هذا التأثير عند "موراي بوكتشين" إلى الإرث الفكري لـ"جون ديوي" في ولاية "فرمونت"، وهي الولاية نفسها التي عاش فيها "موراي بوكتشين" وتأثر بها، بجانب اشتراكهما معا في عديد من التوجهات الفكرية.

أما بالنسبة للاقتصاد، في «المجتمع الإيكولوجي»، يذهب "موراي بوكتشين" إلى الحديث عما اسماها «الاقتصاديات الخضراء» Green Economics، التي تعبر عن بـ«الاقتصاد الإيكولوجي» Ecological Economy، وهو الاقتصاد المناهض لـ«الاقتصاد الرأسمالي»، فالأخير قائم على التنافسية، وثقافة الاستهلاك غير العقلانية، والسعي إلى تراكم الربح، الذي يبتلع المحيط الحيوي عبر سعيه للنمو بلا حدود، أو ما يمكن أنه نسميه «هو النمو» Growthmania. وهو ما يناهضه «الاقتصاد الإيكولوجي»، الذي يُنظر إليه يوصفه اقتصاداً سياسياً وأخلاقياً، والذي يعبر عنه أيضاً بـ«اقتصاد الاستثمار البيئي»Ecological Investment، عبر سعيه إلى عدم هدر مواردنا البيئية، والحديث عن «مسئولية المستهلك» Consumer Responsibility بما تعنيه من ترشيد عملية توزيع واستهلاك البضائع على أساس "عقلانية"[٩٦].

والجدير بالإشارة، أنه قد بات ينظر الآن إلى «الاقتصاد الإيكولوجي»، داخل الإطار الاجتماعي أيضاً، بالحديث عن "الاقتصاد الإيكولوجي الاجتماعي" (SEE)[*]، بوصفه مستقبل علم الاقتصاد، لأسباب ليس أقلها الأزمات الاجتماعية والبيئية التي تواجه البشرية، والحاجة إلى تحويل النظم الاقتصادية إلى الاهتمام بمجال البيئة، لا سيما الاجتماعي منه. فقد بات ينظر إلى علم الاقتصاد التقليدي بوصفه نظاماً فاشلاً بسبب عدم مقدرته على معالجة القضايا الاقتصادية على المدى الطويل، وميله إلى «التهميش» Marginalise، في قضايا مثل: عدم المساواة الاجتماعية، والظلم (عبر الجنس والطبقة والعرق). بجانب افتقاره إلى الاهتمام بـ«الأخلاقيات الاجتماعية»، ودور الرعاية، وقضايا الإنجاب، والآثار الاجتماعية للتقدم التقني، وصولاً إلى حقوق "أصحاب «الأصوات الصامتة» Silent Voices، مثل: الأجيال القادمة، والأطفال، والعالم غير البشري[٩٧].

---

[٩٥] المرجع نفسه، صـ ٥٠٩.

[96] Murray Bookchin, A Green Economy or Green Economics?, The Newsletter of PEGS, Vol. 2, No. 2 (SUMMER 1992), PP. 9-10

[*] Social Ecological Economics.

[97] Clive L. Spash & Adrien O.T. Guisan, A Future Social-Ecological Economics, Real-World Economics Review, Issue No. 96, 2021, P. 203.

وعليه، من الممكن القول بأن «الاقتصاد الإيكولوجي» يشمل جميع ما سبق، من العمل على استخدام «التقنيات الإيكولوجية» بما تعنيه من البحث عن «التقنيات النظيفة» عبر ما نطلق عليها «الطاقة الخضراء»، بجانب استخدام «الشبكة البينية» (الإنترنت) للتوعية وللتحذير من الأخطار التي تحدق بالبيئة، وصولا إلى مجموعة من القيم السياسية والأخلاقية التي تهتم بالاستهلاك الرشيد، والحفاظ على البيئة وعدم هدر مواردها، وتسعى في الوقت ذاته إلى تحقيق «التنمية المستدامة»(*).

في سياق متصل، وبالنسبة لفكرة المساواة، في «المجتمع الإيكولوجي»، يرى "موراي بوكتشين" أنها تعني أن جميع البشر لهم الحق في التمتع بجميع وسائل الحياة، بغض النظر عما يساهمون به في المجتمع، ذلك أن الأخير ليس عبارة عن "صندوق عمل" Fund of Labour يقدم خدماته لمن ساهم فيه فقط. ومفهوم العدالة والمساواة وفق هذا التصور قد عفا عليه الزمن، فالحياة يعتمد فيها الضعيف على القوي، والعجزة والمرضى على الأصحاء، والصغار على الكبار الناضجين. وهكذا فإن المساواة الحقيقية هي المساواة مع «غير المتكافئين» عبر مجتمع لا ينكر الحق في الحياة لأولئك الأقل من الآخرين، وهذا ما يذكرنا بـ«روح التبادل القبلية» the spirit of tribal mutualism التي تجعل جميع الأقارب مسئولين عن بعضهم البعض، وأكثر كرمًا مع بعضهم البعض(٩٨)(*).

(*) تُعرّف "التنمية المُستدامة"، بحسب "اللجنة العالمية للبيئة والتنمية" WCED، بأنها عملية تنموية تشمل ثلاثة أبعاد متكاملة وهي: "النمو الاقتصادي" Economic Growth بجميع جوانبه، و"المُساواة الاجتماعية" Social Equity، و"حماية البِيئَةُ". مما يعني أنه، لا يُمكن العمل على تحقيقها دون تحقيق عدد من الحقّوق الاجتماعية الأساسية، وكذلك، وضع شروط بِيئَيةُ على النشاط الاقتصادي. من هذا المُنطلق تعني "التنمية المُستدامة" العمل على تحقيق التنمية مع عدم الإخلال بالتوازُن البِيئَي أو هدر موارد البِيئَةُ. بجانب الحفاظ على حقّوق الأجيال القادمة. كما أنها تعني، أيضاً، الحث على استخدام مصادر الطاقة النظيفة خلال ما يُطلق عليها "تقنيات الطاقة البديلة"، مثل، الطاقة الهوائية والطاقة الحرارية في البحار والمُحيطات والطاقة الشمسية. لكونها مصادر غير ناضبة من جانب، وغير ملوثة للبيئة من جانب آخر. بجانب دعوة الشركات إلى جعل منتوجاتها صديقة للبِيئَةُ Eco-Friendly Products عبر أخذ الاعتبارات البِيئَيةُ في الحُسبان أثناء عملية تصميم المنتوج بهدف تقليل الأثر البِيئَي العام له، وخفض استهلاكه الطاقة، وكذلك جعله ذو قابلية لإعادة التصنيع. كذلك، تعني "التنمية المُستدامة"، العمل على تحقيق "الإنصاف"، وهو ما يعني كفالة مُعاملة عَادلة وغير مُتحيزة للجميع، فضلاً عن التوزيع العادل لثمار التنمية وأعبائها. أنظر في ذلك:
Gillian Rice, Pro-Environmental Behavior in Egypt: Is There a Role for Islamic Environmental Ethices?, Journal of Business Ethics, Vol. 65, No. 4, (Jun., 2006), P. 373. And See Also:
Tim Hayward, **International Political Theory and the Global Environment: Some Critical Questions for Liberal Cosmopolitans**, Journal of Social Philosophy, Vol. 40, No. 2, Summer 2009, P. 282.

(98) Murray Bookchin, Toward an Ecological Society, Op.Cit., P. 64.

(*) يعبر الفيلسوف الأمريكي "نورمان يـ. بويي" Norman E. Bowie (١٩٤٢م-) عن تصور قريب من هذا بمثال، فلو تخيلنا شخصاً ما يُدعى "جونز" Jones يُعاني من مرض حاد يحتاج إلى عملية جراحية باهظة التكلُفة وفترة استشفاء ونقاهة طويلة الأجل بعد إجراء العملية الجراحية، وهكذا فإن "جونز" ليس فقط مُضطر إلى أنفاق كُل نصيبه من الدخل

أما بالنسبة لـ«الملكية»، في هذا المجموع الأخلاقي، يرى "موراي بوكتشين" أنها ستغدو محل تشارك، وفي أفضل الأحوال، سوف تنتمي إلى المجتمع بوصفه كلاً، وليس إلى المنتجين (الشِغّيلة) أو الملاك (الرأسماليين). ففي «مجتمع إيكولوجي» قوامه «مجلس المجالس»، سوف تصل الملكية، في النهاية، لا إلى المنتجين ولا إلى الدولة. لقد إنشاء اتحاد الجمهوريات السوفيتية دواوين مستبدة (بيروقراطيات)؛ تلك الرؤية النقابية – الثورية لمصانع «تحت حكم الشغيلة» ومتنافسة تتقاطع معا في النهاية خلال دواوين عمالية. ومن وجهة نظر «الإيكولوجيا الاجتماعية» ستغدو "مصالح" الُملكية مُعممة، لا أن يعاد بناؤها في صيغ متباينة مثيرة للصراعات أو مستعصية على الإدارة. وسيضفي عليها سمة المجلس المحلي، لا السمة الخاصة أو الوطنية[٩٩](*).

والملاحظ، أن ما يُطمح إليه هنا، هو تغيير الاقتصاد من الداخل عن طريق تحويل النموذج الرئيس للشركات من نموذج الملكية الخاصة التي لا يستهدف إلا الربح فقط، إلى نموذج مختلف قائم على المصالح التعاونية. وهكذا، يمكن أن تكون الشركات التعاونية المملوكة لموظفيها (أو بالأحرى شركاؤها)، عادلة وتنافسية، وتستجيب بشكل أفضل لاحتياجات جميع أولئك المعنيين[١٠٠].

وواقع الحال يشهد أن هذا من شأنه أن يعزز هيكل العدالة، من خلال المبادرة، مثلا، إلى الإعلان الطوعي بالالتزام بحد أقصى للأجور لا يزيد عن خمسة أضعاف الحد الأدنى منها. خلال جعل كل عامل شريكاً، يمكن لهذه الشركات إنشاء ثقافة مختلفة وجديدة وخلاقة بشكل كلي لمكان العمل، حيث يساهم كل

على تلك العملية ولكنه أيضاً سوف يضطر إلى الاستدانة. من هُنا، فإن موقف "جونز" يُعطي لهُ الحقّ في الحصول على نصب أكبر من الدخل يزيد على نصيب أي شخص آخر وليس مُساوياً لهُ. وفيما يتعلق بـ"الرفاهية"، لابُد من الأخذ في الاعتبار احتمال حدوث سوء الطالع. فهؤلاء الذين يقعون ضحايا للحوادث أو المرض يجب أن ينفقوا نصيبهم المُتساوي من الدخل على الضرورات المُلحة بينما زُملائهم في الإنسانية سوف ينفقون نسبة أكبر من دخولهم على الرفاهية والسلع الكمالية. من المؤكد أن هذا الموقف لا يُمثل توزيعاً عَادلاً. والحل من وجهة نظر "نورمان يـ. بويي" هو الَعَدالَة المبنية على "الحقّوق المُتساوية"، فجميع البشر لهم الحقّ المُتساوي في الرفاهية والسعادة. وانطلاقاً من هذا الطرح نفهم الَعَدالَةُ، فالدخل المُتساوي لن يُحققها وإنما "المُجتمع المُنصف"، فإذا كانت سلعةٌ ما (أ–A) شرطاً ضرورياً لتحقيق القيمة =(ي–Y)، إذن (أ–A) يجب أن يتم توزيعها بطريقة تُحقق "حق المُساواة" Equal Right فيّ (ي–Y). أنظر في ذلك:

Norman E. Bowie, Equality and Distributive Justice, Philosophy, Vol. 45, No. 172, (Apr., 1970), PP. 140-142.

[٩٩] موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مصدر سابق، صـ ٢٦١

(*) أبدى "موراي بوكتشن" إعجابه باستخدام «هنود وينتو»، السكان الأوائل لـ«كاليفورنيا»، لـ"مصطلح «التعايش» To live with بدلا من «الحيازة» Possession. أنظر في ذلك:

Murray Bookchin, Toward an Ecological Society, Op., Cit,, PP. 60-61.

[١٠٠] كارن روس، مرجع سابق، صـ ٢٢٣.

"صوت ومصلحته" في النجاح ويكون له دوراً أساسي فيه، على العكس من الغرق في عدم الوفاق الكامل بين مديرين يحصلون على رواتب باهظة وموظفين وعمال لا يحصلون إلا الفتات(١٠١).

وهكذا، يمكن فهم هذا النمط الاجتماعي بوصفه المقابل لـ«المجتمع السقيم» على حد وصف الاقتصادي الألماني "أولريش شيفر" Ulrich Schäfer (١٩٦٧م-) في كتابه: "انهيار الرأسمالية: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود"، وهو المجتمع الذي يراكم النمو عند الفئات ذات الدخول العالية في المقام الأول، في مقابل العمال أصحاب الدخول المتوسطة والأقل منها، وهو ما يطلق عليه «رداءة توزيع الدخل»(١٠٢).

والمستنتج هنا، أن "موراي بوكتشين"، يهدف إلى إزالة المجتمع الرأسمالي، بكافة مثالبه، واستبداله بـ«مجتمع إيكولوجي» غير هرمي يدير المنتجون الاقتصاد والملكية فيه بشكل بشكل تعاوني، عبر المجالس التشاركية.

ويحذر، في النهاية، "موراي بوكتشين" من التلكؤ في السعي إلى إجراء هذه التغييرات العملية المهمة والشاملة لأن هذا معناه ترك مشاكلنا البيئية تنتشر وتتقيّح إلى مدى لن يكون متاحاً بعده إمكانية معالجتها. وأي محاولة لغض الطرف عن تأثيرها في المجال الحيوي أو للتعاطي معها بشكل فردي، سيكون أسلوباً كارثيا وكفيلا في الوقت ذاته بأن المجتمع المقابل للإيكولوجيا السائد في غالبية عالمنا المعاصر سوف يدفع – بشكل أعمى ومتلاحق للمجال الحيوي الذي نعرفه إلى الوصول إلى دمار حقيقي(١٠٣).

وهكذا، يأمل "موراي بوكتشين" عبر حديثه عن «المجتمع الإيكولوجي»، وتجسيد الأخير في سياسة مجالس واتحادات الديمقراطية المباشرة. النأي بهذا المجتمع الحالم عن علاقات الهيمنة والهرمية والصراع المتشابكة في المجتمع والدولة بصورتهما التقليدية، حيث تعود لهم أصول مشاكلنا البيئية الحالية. فـ«المجتمع الإيكولوجي» هو مجتمع اللاسلطوية عبر ممارسة السياسة وجهاً لوجه، ومشاركة الجميع في الشؤون العامة. وهو مجتمع التعليم الشامل والممتد للجميع بلا امتيازات طبقية، وهو مجتمع الاقتصاد الإيكولوجي أو الاقتصاد الأخضر الداعي لنبذ ثقافات التنافسية وتراكم الربح وإهدار الموارد والاستهلاك غير العقلاني. بجانب كونه مجتمع المساواة الممتدة للجميع بغض النظر عن دورهم في المجتمع، والملكية التشاركية.

---

(١٠١) المرجع نفسه، صـ صـ ٢٢٣-٢٢٤.

(١٠٢) أولريش شيفر، انهيار الرأسمالية: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، يناير ٢٠١٠م، صـ صـ ٣١١-٣١٣.

(١٠٣) موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مرجع سابق، صـ ٢٦٢

٤ -٣: بين الإيكولوجيا الاجتماعية والإيكولوجيا العميقة:

بداية، مصطلح «الإيكولوجيا العميقة» هو مصطلح صاغه الفيلسوف النرويجي "آرني نيس" Arne Næss (١٩١٢-٢٠٠٩م) في العام ١٩٧٢م، للتعبير عن فكرته الدائرة حول فكرة أن الطبيعة لها قيمة جوهرية، بغض النظر عن كونها مفيد للبشر من عدمه، وأن جميع أشكال الحياة يجب أن يُسمح لها بالازدهار وتحقيق مصائرها التطورية. والجدير بالإشارة أن هذا المصطلح صاغه "آرني نيس" لنقد الآراء التي حصرت القلق البيئي في الإنسان وحده(١٠٤).

في الإطار ذاته، أصبح مصطلح «الإيكولوجيا العميقة» معبراً عن المدافعين عن البيئة الذين شعروا بعمق الروابط الروحية مع أنظمة الحياة على الأرض والالتزامات الأخلاقية بالحماية لهذه الأنظمة. علاوة على ذلك، يقرب كثيراً من دعاة «الإيكولوجيا العميقة» خلال أطروحاتهم بين الفهم الديني والوعي البيئي(١٠٥).

في سياق متصل، يتبع "آرني نيس" ومعظم السائرين على دربه منظور الخبرات الشخصية للشعور بالطبيعة البرية خلال التجارب التي هي تشكل أساس تصورهم البديهي والعاطفي لقدسية وترابط كل أنواع الحياة. بجانب أنهم لا ينظرون إلى الذات على أنها منفصلة أو متفوق على كل شيء آخر، بل كجزء صغير من الكون كله. من هذه الفكرة تستنتج «الإيكولوجيا العميقة» الطرح الرئيس لها المتمحور حول أن كل أشكال الحياة، وحتى كافة الأنظمة البيئية نفسها، تمتلك قيمة متأصلة أو جوهرية، أي تمتلك القيمة بشكل مستقل عما إذا كانت مفيدة للبشر أم لا(١٠٦).

بعد هذا الطرح، نستطيع أن نفرق بين «الإيكولوجيا الاجتماعية»، و«الإيكولوجيا العميقة»، من عدة نواح:

الأول، أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» تنظر إلى البشر بوصفهم كائنات طبيعية واجتماعية على حد سواء، لديهم إحساس خاص بهويتهم الذاتية والشخصية، فضلاً عن وجودهم، مثل بقية الكائنات الحية، على هذا الكوكب. وهي، بالتالي، ترفض فكرة اعتبار أن البشر "أجانب" أو "طفيليات" على كوكب الأرض، مثلما يذهب بعض دعاة «الإيكولوجيا العميقة»، فـ«الإيكولوجيا الاجتماعية» ترى أن ذلك الطرح، يعني ضمنياً، تغيير طبيعة الإنسانية، وينفي في الوقت ذاته حقيقة أن البشر متجذرون في المجال الحيوي(١٠٧)(*).

---

(104) Bron Taylor (Edi.), Encyclopedia of Religion and Nature, London & New York: Continuum, 2005, P. 456.

(105) Ibid. P. 456.

(106) Ibid. P. 456.

(107) Brian Morris, The Legacy of Murray Bookchin, In: Social Ecology and the Right to the City: Towards Ecological and Democratic Cities, Edited by Federico Venturini, Emet Deirmenci, Inés Morales, Black Rose Books, Montréal/Chicago/London, 2019, P .29.

والمأخذ هنا، أن كثيراً من دعاة «الإيكولوجيا العميقة» في نقدهم لفكرة مركزية الإنسان السائدة في الثقافة الغربية، والتي تعني ضمناً أن البشر منفصلون ومتفوقون عن بقية العالم الطبيعي، وبالتالي فهم لديهم المبرر لاستخدام الطبيعة بوصفها مورداً لاحتياجاتهم، بغض النظر عن أي اعتبار للطبيعة. قد عكسوا هذه المسألة، بشيء من المبالغة الفجة، بمعنى أنهم جعلوا الطبيعة هي المتفوقة على الإنسان، وهو ما اعتبرته «الإيكولوجيا الاجتماعية» صنفاً من "معاداة الإنسانية" Anti-Humanism، وأنه تحليل متطرف في الطرح، وفي غير محلة بالمرة(١٠٨).

وهكذا، خلال تجاهل فئة "الإنسانية"، أو حجب الأصول الاجتماعية للمشاكل البيئية، تصبح بعض الأفكار العنصرية مقبولة لديهم تماماً وبرضاء تام، من قبيل: إن الأطفال الأفارقة يجب أن يتركوا للموت جوعا بسبب اكتظاظ القارة بالسكان، خلال اعتبار أن المرض هو فحص طبيعي للبشر، ويساعد في الحفاظ على "توازن الطبيعة". وإنه يجب إبعاد "المهاجرين" عن الولايات المتحدة الأمريكية لأنهم تهديد لموارد الدولة. وهكذا لم تقدم «الإيكولوجيا العميقة» سوى الفهم الساذج Naive Understanding لقضايانا البيئية الأساسية والملحة(١٠٩).

الفرق الثاني، أن دعاة «الإيكولوجيا العميقة» ليس لديهم نقد واضح وعميق لممارسات الدولة، وتأثيرات التقنية، والرأسمالية. وكانت غالبية جهودهم عبارة عن "تبسيط" للأزمة بحصرها فقط في الإنسان. في حين أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» لا تنظر لها على هذا النحو المبسط والسطحي، وترى في المقابل، أن المكمن الرئيس لأزماتنا البيئية يقع خلف أمور اجتماعية عدة على رأسها النظام الرأسمالي الذي قلل من قيمة الإنسان، بجانب كافة الكائنات الأخرى، ونظر إليهم جميعاً بوصفهم سلعاً مجردة. مما أدى إلى القضاء على عديد من ثقافات العالم الثالث. بجانب القضاء على الغابات خلال مصالح الشركات، التي عملت على إزالتها ونشر أسلوب الزراعة الأحادية والتلوث وهو ما تناضل ضده

(*) يُمكن القول بأنّ كثيراً من فلاسفة البيئة، مثل، "بيتر سنجر" Peter Singer (١٩٤٦م-)، في معرض نقدهم لغطرسة سيطرة الذات الإنسانية Anthropocentrism، في تعاملها مع عالم الموضوعات يستندون إلى نظرية التطور الداروينية، والتي تؤكد على فكرة أن الإنسان ينحدر من أصول حيوانية، وبالتالي فهو نتاج لتطور حيوي معقد وطويل، وخلال هذه النظرية يسعون إلى إلغاء أي تفوق عقلي أو حيوي أو حتى لغوي للإنسان على بقية الحيوانات. فامتلاك العقل، واستخدام الأدوات، بجانب اللغة، وحتى الشعور بالزمان، هي خواص مشتركة بين الإنسان وبعض الحيوانات. أنظر في ذلك:

وجدي خيري نسيم، الإيكولوجيا العميقة عند أرني نيس: دراسة في فلسفة البيئة المعاصرة، مقال في مجلة: الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، مج ١٣، ع ١، كلية الآداب، جامعة المنوفية، المنوفية، مصر، يناير ٢٠٢١م، صـ ١٤٨٣.

(108) Brian Morris, Reflections on 'Deep Ecology', In: Deep Ecology & Anarchism: A Polemic, Edited by Various Authors, The Raven 17 issue on The Use of Land. Rodney, 1993. P. 24.

(109) Ibid. P. 24.

«الإيكولوجيا الاجتماعية». في مقابل ما تقوم به «الإيكولوجيا العميقة» من عملية غض الطرف عن الكثير من تلك القضايا المهمة والتي تشكل أصل أزماتنا البيئية(١١٠).

الفرق الثالث، من وجهة نظر "موراي بوكتشين"، أن أفضل حجة ضد «الإيكولوجيا العميقة»، أنها في طرحها لم تكن مدفوعة إلا بدوافع صوفية Mystical، أو بالأحرى لاهوتية Theological خلال ترويج غالبية أفكارها، دون وجود أية أسانيد عقلية. مما حصر البحث في مشاكلنا البيئية داخل دائرة اللامعقول absurdity(١١١). ولا يغيبن عن البال أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» كانت في أساسها، كما سبق ذكره، رداً من "موراي بوكتشين" على دعاة «الإيكولوجيا العميقة» الذين مجدوا من فكرة «الهمجي النبيل» خلال إضفاء العاطفة المثالية على «البرية» والبيئة الطبيعية، في مقابل النظرة الدونية والتي تكاد تصل إلى حد الكرة تجاه بقية البشر العاديين(١١٢).

بناء عليه، يعد "موراي بوكتشين" من أشد معارضي «الإيكولوجيا العميقة» وما مثلته من اتجاهات بيئية رآها ساذجة أو غير معقولة، مثل كراهية البشر واحتقارهم في مقابل تعظيم شأن الطبيعة، وتحويلها فكرة نقد مركزية الإنسان إلى صنف من "معاداة الإنسانية" بطرح جد مبالغ. بجانب تغليف أفكارها بعباءة دينية وصوفية.

الخاتمـــــة:

تأسيسا على ما سبق، فقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

١- تؤكد الدراسة، أن إقامة "موراي بيوكتشن" بولاية «فرمونت» الأمريكية كان لها تأُثير كبير على فكره، فهي سادس أصغر الولايات الأمريكية مساحةً، وثاني أصغر ولاية من ناحية عدد السكان، بالإضافة لتمتعها ببيئة خصبة وأرث قديم يعود للهنود الحمر. فتأثر بما وجده فيها من ممارسة لـ«الديمقراطية المباشرة»، لا سيما في مدينة «برلينجتون». بجانب ما بها من إرث فلسفي لـ"جون ديوي" الذي يعد بدوره أحد المصادر الفكرية لـ"موراي بيوكتشن" لا سيما في أفكاره حول التكافؤ في فرص التعليم، والدعوة إلى «الديمقراطية التداولية».

(110) Ibid. P. 24.

(111) Murray Bookchin, Deep Ecology, Anarchosyndicalism, and the Future of Anarchist Thought, In: Deep Ecology & Anarchism: A Polemic, Edited by Various Authors, The Raven 17 issue on The Use of Land. Rodney, 1993. PP. 31-32.

(١١٢) كولين وارد، مرجع سابق، صـ ٩٦.

٢- تؤكد الدراسة أن طرح "موراي بيوكتشن" حول «الإيكولوجيا الاجتماعية» كان بمثابة رد على دعاة «الإيكولوجيا العميقة» في ولاية «فرمونت» الأمريكية، الذين انتابتهم حالة من الشعور بالذنب جراء إحساسهم بالمسئولية حول الإبادة الجماعية للسكان الأصليين التي قام بها أجدادهم، فظهر لديهم كنوع من رد الفعل العكسي، تعظيم لفكرة «الهمجي النبيل» و واحتقار لبقية البشر العاديين، بجانب إسدالهم المثالية العاطفية على "البرية" والبيئة الطبيعية. وهي الأمور جميعها التي رفضها "موراي بيوكتشن".

٣- تؤكد الدراسة، أن «اللا سلطوية» عقيدة فكرية ترمي إلى تحرير الشعوب من كافة أشكال الهيمنة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية. وهي تشير – بالإضافة إلى ذلك – عند "موراي بوكتشين" إلى معنى "الاستقلالية" أو "السيادة الذاتية" النابعة من الحرية.

٤- تؤكد الدراسة، أن «اللا سلطوية» لا تعني الفوضى أو الفوضوية، فتلك ترجمة خاطئة، فالمعنى الحقيقي لـ«اللا سلطوية» عند "موراي بوكتشين" يعني مناهضة الانفراد والاستئثار بالسلطة، بجانب دعوتها في الوقت ذاته إلى توزيع السلطة خلال آليات مثل الديمقراطية المباشرة والاجتماعات الشعبية، بجانب دعوتها إلى حفظ المؤسسات والنظام. وقد أكدت عديداً من المشاهدات الواقعية في حياتنا اليومية أنه في حالة إعدام السلطة وفراغ المؤسسات، لأي سبب كان، مثل الكوارث، والحروب، والثورات، لم يسقط المجتمع في الفوضى، وعلى العكس، ظهرت أمور جد إيجابية من تكافل وتعاون ومساعدة وتعاضد.

٥- تؤكد الدراسة، أن لـ«فلسفة اللا سلطوية» مبادئ عامة عدة، تشكل في الوقت ذاته التيار الرئيس لها، مثل: التأكيد على أن الإنسان «حيوان اجتماعي» بطبعه، يسعى إلى «التعاون» عوضاً عن التنافس. وأن «السلطة» تعيق التنمية البشرية الكاملة. كما تذهب إلى أن الملكية الخاصة تتسبب في فساد الناس واستغلالهم لبعضهم البعض. بجانب نظرها إلى الدولة باعتبارها كيان غير طبيعي ومفسد في آن واحد. وأن المجتمع يجب تطويره خلال «التعاون الطوعي» بين المواطنين عوضاً عن الإكراه من قبل الحكومة. من ضمن تلك المبادئ أيضاً، النظر إلى المنظمات الكبيرة المعقدة باعتبارها السبب في التسلسل الهرمي وتمركز السلطة، في حين أن اللامركزية هي التي تسمح وحدها بعلاقات إنسانية تعاونية. وإن المجتمع الصناعي غير خير، تتحكم فيه الآلات بالإنسان. وهذا ما يؤدي إلى نزع الصفة الإنسانية عن الأخير، وتخلخل شخصيته؛ وتقتل أي نوع من الإبداع لديه.

٦- تؤكد الدراسة، أن «فلسفة اللا سلطوية» تختلف عن «الفلسفة الوجودية»، فقد تشترك الأخيرة مع «فلسفة اللا سلطوية» في أمور جد قليلة مثل: الإعلاء من شأن الفردية، والتأكيد على أولوية الحرية الإنسانية. بيد أنها تختلف في بقية الموضوعات اختلاف جذري مثل الإحساس بعديمة

الوجود الإنساني، وضياع المعنى، وعبثية الحياة، وكل هذه الموضوعات الوجودية. كما أن «الفلسفة الوجودية» لا تنطلق من المنظور السياسي بوصفه منطلقاً لأطروحاتها الفكرية.

٧- تؤكد الدراسة، أن «اللا سلطوية» على الرغم من الانتماء التاريخي لها ناحية اليسار، إلا أنها تتمايز عن الشيوعية أشد التمايز، فهي ترفض كل ديكتاتورية، بما فيها ديكتاتورية البروليتاريا" نفسها، كما أنها ترفض ممارسات أجهزة القمع التي كثيرا ما صاحبت الأنظمة الشيوعية. فـ«اللا سلطوية» لا تريد تحقيق أهدافها في مجتمع متناقض مع نفسه، ينادي بالحرية وعندما يصل إلى السلطة يكون أول من يقمعها. كما لا تنادي بـ«الثورة الاجتماعية» وتؤمن بالتطور الاجتماعي، بجانب إيمانها بـ«الملكية الفردية»، في مقابل الفكر الشيوعي الذي ينظر لمؤسسات الملكية الخاصة كأحد مصادر الظلم وعدم المساواة. وقد عبر "موراي بوكتشين" عن ذلك حينما رأي أن "ما يميز «اللا سلطوية» عن «الشيوعية» هو أن الأولى تتمسك بشكل لا هوادة فيه بـ"تقرير المصير الفردي" و"الاستقلالية". وأن تكون لاسلطوياً يعبر ذلك عن تأكيد التمسك بأولوية "الحرية الفردية" على كل شيء.

٨- تؤكد الدراسة، أن «اللا سلطوية الاجتماعية»، وفق "موراي بيوكتشن"، تعبر عن الأفكار «اللا سلطوية» نفسها حول الاستقلالية الذاتية والحرية الفردية، ولكنها في الوقت ذاته تربط بينها وبين «التعاون المتبادل» و«الديمقراطية المباشرة». ذلك أن المساواة الاجتماعية واحترام رأي الأقلية مكملان للاستقلالية الذاتية والحرية الشخصية. وهو ما يعني محاولة إيجاد «التوازن» بين الفرد والمجتمع.

٩- تؤكد الدارسة، أن "موراي بوكتيشن"، أسس لما نُسميه الآن «عصر العاديين» أو «عصر الإنسان العادي» خلال التفاته إلى أهمية «الفضاء الإليكتروني» حيث يلتقي «الاستقلال الذاتي» بالثورة الرقمية وتحولاتها ذات السرعة الفائقة، وهو فهم يعارض به – ضمنيا – سياسات ما يسمى بـ«الحشود الغفيرة» حيث تم التعامل مع الكتل الجماهيرية بوصفها موضوعا للسيطرة، ووعاء للتعبئة الاجتماعية، وخصوصا في ظل أنظمة الحزب الواحد المتعدد في تكويناته الاجتماعية.

١٠- تؤكد الدراسة، أن جوهر طرح "موراي بوكتشين" حول «الإيكولوجيا الاجتماعية» يدور حول فكرة أن هيمنة الإنسان على الطبيعة تنبع من الهيمنة الإنسان على الإنسان أولاً، وهذه الهيمنة نتاج أرث تاريخي طويل من علاقات الهرمية والاستغلال والسيطرة والعبودية، مرت وتطورت عبر جميع المجتمعات القديمة، بيد أن الصورة الجلية لهذه الهيمنة كانت وما زالت حاضرة في المجتمع الرأسمالي، بكامل بنيته التراتبية والاستغلالية. ولكي نصل إلى حل مشاكلنا البيئية، يجب علينا أولاً إنهاء علاقات السيطرة في المجتمع ومن ثم تأسيس نظام إيكولوجي اجتماعي أخلاقي جديد قائم

على اللامركزية والديمقراطية المباشرة والعلاقات غير التراتبية، بجانب انفتاحه وتعايشه الكامل مع الطبيعة.

١١- تؤكد الدراسة أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» تتبنى الدعوة إلى تحقيق «الأخلاق التكاملية» التي لا مفر منها أمام البشر من أجل سلامة محيطهم الحيوي. ولذلك تضغط «الإيكولوجيا الاجتماعية» على فكرة تجسيد أخلاقها التكاملية خلال بنيات اجتماعية واقعية، تعطي معنى فعالا لأهدافها الكلية ولمشاركة الإنسان بوصفه فاعلاً خلقياً ذا وعي في تبادل التأثير بين الأنواع الحية. وهذه الأخلاق مثل: التكافل"، والتبادلية، والحرية، والذاتية، بوصفهم جميعاً أسس داعمة لمجتمع تعاوني لا سلطوي.

١٢- تؤكد الدراسة، أن «الإيكولوجيا الاجتماعية» لا تلقي باللائمة حول الأزمة البيئية على الآثار السلبية للتقنية وبخاصة الحديثة منها وحدها، ذلك أن ثمة غابات، على سبيل المثال، قد أبيدت بالكامل بالفأس والمحراث القديم، كما أن علاقات السيطرة والهيمنة قديمة قبل عصر الذرة وقبل اختراع البارود، وهذا يعني أن المسألة برمتها تكمن في الإرث الاجتماعي لعلاقات الهيمنة، والإدارة غير العقلانية عبر التاريخ. بيد أن هذا لا يعني غض الطرف عن الآثار السلبية للتقنية، ولذلك تعمل «الإيكولوجيا الاجتماعية» على الدعوة إلى استخدام تقنيات إيكولوجية نظيفة وصديقة للبيئة بداية من رفض ثقافة الاستهلال المفرط، ومرورا بإعادة الاعتبار إلى الزراعة التقليدية، ووصولاً إلى الدعوة إلى استخدام "تقنيات نظيفة" من قبيل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والميثان والمصادر الأخرى. بجانب الدعوة ليس فقط إلى إعادة التدوير، وإنما إلى تبني سياسة إنتاجية مستدامة لمنتوجات ذات جودة عالية بإمكانها أن تدوم لأكثر من جيل.

١٣- تؤكد الدراسة أن "موراي بيوكتشن" قد أدرك أهمية أن تتحول أفكاره حول «الإيكولوجيا الاجتماعية» إلى تطبيقات عملية، بجانب إيمانه بأهمية المجتمع للإنسان، ذلك الإيمان النابع من أفكاره حول «اللا سلطوية الاجتماعية»، ومن ثم فقد طرح العلاقة بين «الإيكولوجيا الاجتماعية» والمجتمع خلال حديثه عن «المجتمع الإيكولوجي» بوصفه التمثيل الحقيقي لفكرة «الإيكولوجيا الاجتماعية». إنه مجتمع: اللامركزية، والديمقراطية المباشرة، والتعليم الشامل الإبداعي، والملكية التشاركية، والمساواة الممتدة للجميع، والتقنيات صديقة البيئة، والاستهلاك الرشيد، والتنوع، والعفوية، والعلاقات غير الهرمية، والمتسامي فوق كافة التقسيمات الموروثة سواء أكانت بين الجنسين أم بين المدينة والريف أم الإدارة والمجتمع وما إلى ذلك، وصولاً إلى مجتمع متآلف إنسانياً وبيئياً.

١٤- تؤكد الدراسة إعادة إحياء "موراي بوكتشين" لبعض أفكار "اللاسلطوية الشيوعية" عند "بيتر كروبوتكين"، فقد تحدث الأخير عن المجتمع التعاوني المستدام بيئيًا ذاتي الإدارة والقائم على المساعدة المتبادلة، والديمقراطية الشعبية والتي تتحقق في النهاية خلال مجالس البلديات

(الكوميونات) الديمقراطية المباشرة اللامركزية والتي تتحد معاً لتأسيس "مجلس المجالس". بجانب إعادة إحياء أفكاره في التعليم التي طرحها خلال حديثه عن "التنمية الكاملة"، التي نادى بأن تكون ممتدة لجميع أعضاء المجتمع، ولا سيما جميع أصحاب المواهب المختلفة، والتي دونها سوف يتم احتكار التعليم للقلة، أو بالأحرى الأقليات صاحبة المكتسبات.

١٥- ترى الدراسة، أن فكرة اللامركزية التي كثيرا ما ضغط عليها "موراي بوكتشين" تعد من أكثر الأفكار المناسبة لحل أزماتنا البيئية في عالمنا العربي، فكثراً ما عانت الشعوب العربية من المركزية والتي دائماً ما يصاحبها البيروقراطية، وإهدار الطاقة، وتركز التنمية في العواصم والمدن الكبرى ولا سيما مدن الشمال، وهي النظرية العالمية المعروفة بالشمال والجنوب، حيث تتركز التنمية غالباً في الشمال، في مقابل افتقار الأقاليم ومدن الجنوب والريف للتنمية نفسها. علاوة على ذلك، خلال اللامركزية يمكن تطبيق الاكتفاء الذاتي بنجاح والبحث عن حلول خلاقة للمشكلات الاجتماعية والبيئية.

المصادر والمراجع:

م:١: المصادر:

☐م:١:١: مصادر باللغة الإنجليزية:

1- Murray Bookchin, A Green Economy or Green Economics?, The Newsletter of PEGS, Vol. 2, No. 2 (SUMMER 1992), pp. 9-10.
2- ----------, Deep Ecology, Anarchosyndicalism, and the Future of Anarchist Thought, In: Deep Ecology & Anarchism: A Polemic, Edited by Various Authors, The Raven 17 issue on The Use of Land. Rodney, 1993. PP. 31-39.
3- ----------, Free Cities: Communalism and the Left, Edited by Eirik Eiglad, Unpublished Manuscript: Not for Circulation, 2008.
4- ----------, Post-Scarcity Anarchism: Second Edition With a New Introfuction, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1986.
5- ----------, Radical Agriculture, Appeared in Radical Agriculture, Edited by Richard Merrill, Zabalaza Books, South Africa 1972. PP. 1-11.
6- ----------, Social Anarchism or Lifestyle Anarchism: An Unbridgeable Chasm, A.K. Press. Edinburgh, Scotland & San Francisco, Usa, 1995.
7- ----------, Social Ecology and Communalism, AK Press, Edinburgh, Scotland & San Francisco, Usa, 2006.
8- ----------, The Ecology of Freedom: The Emergnce and Dissoulution of Hierarchy, Cheshire Books, California, U.S.A., 1982.
9- ----------, Toward an Ecological Society, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1980.

م:١:٢: مصادر مترجمة:

١٠- موراي بوكتشين، ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية؟، مقال في كتاب: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الثاني، تحرير مايكل زيمرمان، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة

عالم المعرفة، العدد ٣٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٦م، صـ صـ ٢٣٧-٢٦٢.

م:٢: المراجع:

م ٢ : ١: مراجع باللغات الأجنبية:

11- Alexander Berkman, What is Anarchism?, AK Press: Edinburgh. London. Oakland, 2003.
12- Bron Taylor (Edi.), Encyclopedia of Religion and Nature, London & New York: Continuum, 2005.
13- Christian Fuchs, The Dialectic of the Nature-Society-System, tripleC 4 (1): 1-39, 2006, PP. 1-39.
14- Clive L. Spash & Adrien O.T. Guisan, A Future Social-Ecological Economics, Real-World Economics Review, Issue No. 96, 2021, PP. 203-216.
15- Dan Chodorkoff..el. al, Murray Bookchin (1921–2006) An annotated bibliography : to accompany the collected works of Murray Bookchin given to the Vermont State Libraries in honor of the Centennial Celebration (2021) of Bookchin's life, Design & layout by Dana Dwinell-Yardley, the Vermont State Libraries, Vermont, Usa, 2021, PP. 1-8.
16- Debbie Bookchin y Blair Taylor (Edición), Murray Bookchin: La Próxima Revolución las Asambleas Populares y la Promesa de la Democracia Directa, Virus Editorial i Distribuïdora, sccl, Barcelona, Espana, 2019.
17- Federico Venturini et..al (Editors), Social Ecology and the Right to the City: Towards Ecological and Democratic Cities, Black Rose Books, Montréal/Chicago/London, 2019.
18- Gillian Rice, Pro-Environmental Behavior in Egypt: Is There a Role for Islamic Environmental Ethices?, Journal of Business Ethics, Vol. 65, No. 4, (Jun., 2006), PP 373-390.
19- Janet Biehl (Edi.), The Murray Bookchin Reader, Black Rose Books, Montreal, Canada, 1999.
20- Jeremy T. Kerr & David J. Currie, Effects of Human Activity on Global Extinction Risk, Conservation Biology, Vol. 9, No. 6, (Dec., 1995). PP 1528-1538.
21- Jimmy Carter, Carter Given Nuclear Waste Options, Science News, Vol. 116, No. 3, (Jul. 21, 1979), PP 38-39.
22- john Bucci, Searching for the Meaning of Anarchism, The Journal of Education, Vol. 154, No. 2, IDEAS NEGLECTED IN EDUCATIONAL PHILOSOPHY (December 1971), pp. 61-68.
23- John F Clark, What Is Anarchism, Source: Nomos, Vol. 19, ANARCHISM (1978), pp. 3-28.
24- John Raven, Advancing and Defeating the PEGS Agenda: Socio-Cybernetics and Murray Bookchin, The Good Society, Vol. 19, No. 2 (2010), pp. 79-88.
25- Michael A. Peters, Ecopolitical Philosophy, Education And Grassroots Democracy: The "Retern" of Murray Bookchin (And John Dewey?), Geopolitics, History, and International Relations 9 (2), 2017, PP.7-14.
26- Norman E. Bowie, Equality and Distributive Justice, Philosophy, Vol. 45, No. 172, (Apr., 1970), PP 140-148.
27- P. Kropotkin, Modern Science And Anarchism, Freedom Press, London, U.K, 1912.
28- Raul P. Lejano, Relationality and Social–Ecological Systems: Going Beyond or Behind Sustainability and Resilience, Sustainability, 11, 2760; MDPI, Basel, Switzerland, 2019, PP. 1-9.
29- Ruth Kinna, Anarchism: a beginner's guide, WS Bookwell, Finland, 2005.

30- Tim Hayward, **International Political Theory and the Global Environment: Some Critical Questions for Liberal Cosmopolitans**, Journal of Social Philosophy, Vol. 40, No. 2, Summer 2009, PP 276-295.
31- Various Authors (Edi.), Deep Ecology & Anarchism: A Polemic, The Raven 17 issue on The Use of Land. Rodney, 1993.
32- William Godwin, An Enquiry Concerning Political Justice: Its Infulence On General Virtue And Happiness, In Tow Volumes, Vol. I, Printed For G. C. J. And J. Robinson, Parternoster. London, U.K.

م:٢:٢: المراجع العربية:

م:٢:٢:١ مؤلفات ودراسات:

٣٣- أُسامة الخولي، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، تقديم مُصطفى طُلبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ – سبتمبر ٢٠٠٢م.
٣٤- عباس محمود العقاد، يوميَّات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م.
٣٥- وجدي خيري نسيم، الإيكولوجيا العميقة عند أرني نيس: دراسة في فلسفة البيئة المعاصرة، مقال في مجلة: الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، مج ١٣، ع ١، كلية الآداب، جامعة المنوفية، المنوفية، مصر، يناير ٢٠٢١م، صـ صـ ١٤٧٩-١٥٤٦.

م:٢:٢:٢ ترجمات:

٣٦- أولريش شيفر، انهيار الرأسمالية: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، يناير ٢٠١٠م.
٣٧- تـ. ز. لافين، من سقراط إلى سارتر: البحث الفلسفي، ترجمة أشرف محمد كيلاني، مراجعة وتقديم سعيد توفيق، المشروع القومي للترجمة، العدد ٢٠٨٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٢م.
٣٨- دايفيد ماثيوس، إيكولوجيا الديمقراطية: كيف تكون لنا يدٌ أقوى في رسم مستقبلنا؟، ترجمة مصطفى الجرف، تقديم زياد ماجد، الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية، شرق الكتاب، مؤسسة كترينغ، دايتون، أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٨م.
٣٩- جوزيف ستالين، اشتراكية أم فوضوية، ترجمة وتقديم جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٨م.
٤٠- كارن روس، الثورة بلا قيادات: كيف سيبادر الناس العاديون إلى تولي السلطة وتغيير السياسات في القرن الواحد والعشرين؟، ترجمة فاضل جكتر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٤٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، مارس ٢٠١٧م.

٤١- كولين وارد، اللاسلطوية: مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة مروة عبد االسلام، مراجعة محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٤م.

٤٢- مايكل زيمرمان (محررا)، الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، الجزء الأول، ترجمة معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٦م.

٤٣- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

م:٣: مواقع على الشبكة البينية:

44- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF_%D9%83%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D8%AA
(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

45- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AA
(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

46- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1_%D9%83%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%83%D9%8A%D9%86
(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)

47- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D9%83%D8%AA%D8%B4%D9%8A%D9%86
(تاريخ الولوج: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م)